الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي _تيسمسيلت_

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

مذكرة تخرج نيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي الموسومة ب :

مظاهر التجديد الشعر في العصر العباسي

بشار بن برد انموذجا

تخصص: ادب عربي قديم

من إعداد الطلبة:

❖ صادق حفيظة

❖ فدول علي

تحت اشراف الدكتور:

● عطار خالد.

❖ اللجنة المناقشة:

الرئيس	,,,.....
المناقش	,,.....
المشرف	.....

السنة الجامعية:

2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

✍إلى الشمس التي تشرق في سمائي والنور الذي يبدد ظلمات أيامي، إلى سيدة النساء إلى العظيمة في العطاء و العناء معنى التضحية وروح النضال "أمي" الحبيبة حفظها الله ورعاها وأتمنى لها طول العمر.

✍ إلى من سرقته مني الأيام إلى من كان رمزا للنضال أبي " أحمد" رحمه الله وأسكنه الله فسيح جناته

✍ إلى من قاسموني شقاوة الدنيا وفرح الأيام إلى الذين أموت في حبهم ولا أتصور حياتي بدونهم أخواتي:

فاطمة ، امينة، سمية، عائشة، الزهرة

✍ الى رفيقي في الحياة و سندي في الدنيا اخي العزيز " صالح "

✍إلى من أفقد طعم الحياة بدونه إلى صديقي المفضل و الوحيد" عبد القادر بوسعيد "

✍ إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب او بعيد

✍ إلى كل الزملاء بالمركز الجامعي الونشريسي و إلى كل خريجي دفعة جوان 2018

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

الإهداء

✍إلى الشمس التي تشرق في سمائي والنور الذي يبدد ظلمات أيامي، إلى سيدة النساء إلى العظيمة في العطاء و العناء معنى التضحية وروح النضال "أمي" الحبيبة حفظها الله ورعاها وأتمنى لها طول العمر.

✍ إلى من أفنى عمره في اسعادي الى حبيب الروح جدي الغالي ع.القادر الى جدتي رحمة الله عليها.

✍ إلى روح قلبي وبسمة ثغري إلى توأمي الغالية " نورة " أدامك الله لي حبيبة قلبي، إلى زوجها العزيز "كريم"

✍ إلى من قاسموني شقاوة الدنيا وفرح الأيام إلى الذين أموت في حبهم ولا أتصور حياتي بدونهم أخواتي:
زهيرة ،ريما، أمال، خولة واخوتي : كادي ، يوسف، عبد الهادي، ميدو.

✍ الى من يملأ يومي سعادة الى براعم حياتي " وئام ، ايلاف ريما ، ايناس "

✍إلى التي هي أقرب من الروح إلى الجسد، إلى التي شاركتني لحظات العمر، إلى توأم روحي "أميرة صادق"

✍ إلى من أفقد طعم الحياة بدونهم إلى صديقاتي : منال ، سمية ، حياة ، هدى ، ستي ،سعاد، نداء ، دنيا

✍ إلى الذي صادفني بهم القدر وكانوا العون لي في أصعب المحن خاصة س.ب

✍ إلى كل الزملاء بالمركز الجامعي الونشريسي و إلى كل خريجي دفعة جوان 2018

✍ إلى من يسكنه القلب ولم يذكره اللسان

إليكم جميعا أهدي ثمرة جهدي

حفيظة

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "عطار خالد" الذي لم يبخل علينا بعطائه العلمي وآرائه ونصائحه وإرشاداته من خلال مراحل هذا البحث منذ أن كان فكرة حتى صار بحث، ولا ننسى أساتذتنا الكرام بجامعة أحمد بن يحيى الونشريسي، ونحن نكن لهم فائق الاحترام و التقدير ونشكرهم على ما قدموه لنا طوال فترة الدراسة.

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع.

والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه

حفيظة _ علي

مقدمة:

يعد العصر العباسي أزهى عصور الحضارة العربية، وأطولها عمرا، وأكثرها تألقا حيث عرف بتعدد الأجيال، والشعراء والكتاب، والعلماء في مختلف الثقافات. فكان لهم إسهام كبير في التعبير عن حضارة روح هدا العصر، ولقد حاولوا بنتاجهم الشعري، والنثري أن ينفذوا من أعماق هذه الحضارة، ويواكبوا مسيرتها، ويسجلوا أحداثها فكان من الطبيعي أن يتطور أدبهم مع تطور حضاراتهم.

هذا الانعكاس الإيجابي الذي عرفه الأدب جعل من العصر العباسي أرقى العصور فعرف فيه الأدب قفزة لم يشهد لها مثيل من قبل، حتى أنه سمي بالعصر الذهبي.فكان تطور الأدب بصفة عامة، والشعر بصفة خاصة باد بشكل واضح في هذا العصر ،فلقد عرفت القصيدة العربية حلة جديدة اكتسى بها الشعر العربي شكلا، و مضمونا ،فكان هناك تعدد في الأغراض، و تطور واضح يختلف عما كانت عليه القصيدة العربية في العصور السابقة. فتطورت الأغراض القديمة، وتطور معها الموضوع فطرأ عليه بعض التغيير، كان الرثاء ضربا جديدا يستعمل في رثاء المدن حين تحل بها النكبات، والكوارث كما عمد بعض الشعراء أيضا إلى رثاء الطيور، والحيوانات. أما الغزل فقد ازدهر وتشرب بروح الحضارة الجديدة. حيث رقت ألفاظه، وتلطفت معانيه، و لكن الشعراء انحدروا بيه إلى هاوية الفاحش ليصبح غزلا ماجنا، وكان "بشار بن برد" و "أبو نواس " من أبرز رواد هذا الغرض.

أما الحكمة فاتسمت بالدقة، والعمق في هذا العصر، أما الزهد والتصوف فبرزا نتيجة ظاهرتي المجون والزندقة، وكذالك لم يخلوا هذا الأخير من روح الوصف، فأصبح فنا قائما بذاته، وقد اتسع ليشمل شتى مظاهر الطبيعة. كالحدائق، البساتين، القصور، الأساطيل والمعارك البحرية، ولقد اخترنا هذا الموضوع لأن العصر العباسي أرقى عصور الأدب، وأطولها كما أن القصيدة تطورت فيه تطورا جذريا ،شمل الشكل و المضمون. وبالتالي أردنا كباحثين أن نكشف عن ملامح التجديد، في موضوعنا هذا معتمدين في معالجتنا لهذه الدراسة على قائمة من المصادر والمراجع نذكر منها كتاب "تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف و"كتاب" الحياة الأدبية في العصر الجاهلي لعبد المنعم خفاجي

و"كتاب" الجامع في تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري". ونحن بصدد دراستنا لهذا الموضوع تبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات أهمها:

ما هي ملامح التغيير التي عرفتها القصيدة العربية في العصر العباسي؟

من هم أبرز رواد منهج التجديد في هذا العصر؟

وككل بحث اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع، على منهج علمي يقوم على الوصف، التحليل، مرتكزين على خطة بحث جاءت كالآتي :مدخل ثم مقدمة تمهيدا للموضوع، بالإضافة إلى فصلين :فصل نظري تناولنا فيه بنية القصيدة العربية قبل العصر العباسي ولقد تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أغراض القصيدة العربية في العصر الجاهلي أما المبحث الثاني: تطور الشعر في العصر الإسلامي والأموي ثم المبحث الثالث :اتجاهات الشعر في العصر العباسي.

أما الفصل الثاني التطبيقي فعالجنا فيه قضية التجديد التي عرفها الشعر في هذا العصر "بشار بن برد نموذجا "و تضمن هذا الفصل مبحثين:

المبحث الاول: بشار بن برد و ملامح التجديد في شعره، اما المبحث الثاني: قراءة في تحليل النقاد لقصيدة "جفا ودّه فازور أو مل صاحبه"

وانهينا بحثا بخاتمة كانت عبارة عن مجموعة من النتائج. وقد واجهتنا مجموعة من العراقيل والصعوبات في البحث أهمها: ضيق الوقت، قلة المصادر والمراجع مع صعوبة التحكم في المادة العلمية. لكن رغم هذا حاولنا جاهدينا أن نتخطاها ونكمل بحثنا هذا على أكمل وجه.

وفي الأخير نتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور "عطار خالد "على دعمه لنا لا تمام هذا البحث، وإلى كل من ساعدنا ومد لنا يد العون سواء من قريب أو بعيد، راجينا من الله أن نكونا قد وفقنا في هذه الدراسة فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطئنا فأملنا البحث والاجتهاد.

مدخل:

لا يمكن بأي حال أن نتحدث عن التجديد والتجاوز والتحديث دون أن نمر بالنموذج القديم الذي يحاول الشاعر المحدث أن يتمرد عليه، فالشعر الجاهلي وما جاء بعده من شعر أموي يشكل النموذج والمعيار الذي تكرس في أذهان كثير من الشعراء والنقاد وصار يمثل سلطة تاريخية وروحية يعسر الخروج عن تقاليدها.

الشعر الجاهلي:

الشعر العربي الجاهلي تراث ابداعي قديم بلغت معه اللغة العربية ارقى المستويات الفنية و الجمال الاسلوبي، تمهيدا لنزول الوحي القرآني على النبي العربي الكريم حيث سيتربع اعجاز اللغة العربية بلاغيا ونحويا وتركيبا او لنقل: نظما على قمة الفصاحة والبلاغة والبيان.

انقسم سكان العرب في الجاهلية بحسب الامكنة التي استوطنها ثلاثة اقسام:

- الحضر: وهم ساكنو المدن مثل مكة و الطائف واشتغلوا في التجارة والحرف
- البدو: وقطنوا البوادي القريبة من الحواضر وليسوا على كبر مسافة من الصحاري وربما اعتمدوا تربية البقر والغنم والضأن لتدبير امور حياتهم.
- الاعراب: وهم الذين اتخذوا الصحراء الجافة القاسية مكانا للعيش والابل وسيلة للتمويل و التنقل بحثا عن الماء والكلاء و الامان احيانا، وهم الذين طبعتهم الصحراء بطابعها، فعرفوا بما عرفوا به من الغلظة و القسوة والتحمل.

وهذا التنوع المعيشي أفرز«انماطا عمرانية وأشكالا للسكنوالمأوى الثابت والمؤقت فكانت الدرات مثلا منازل الاغنياء ،وذوي الجاه والنفوذ وكانت بيوت الحجر والطين تشكل جسم الحواضر ويسكنها اهل هذه الحواضر في حين ان البدو والاعراب تعاملوا مع بيت الشعر والخيمة والخباء والكهف لأن حياتهم في أساسها قائمة على المؤقت و الترحل تبعا لحاجاتهم وحاجات مواشيهم ، لكن هذه المنازل الحمولة المؤقتة ظلت تشكل مجسمات هندسية فنية في نظر اصحابها

وظلت تترك اثار تدل على ساكنيها موحية بحس الحياة والحركة والنمو وهو ما اصطلح عليه بالأطلال».[1]

ان الطلل يتجلى كالطود الثابت في وجدان الشاعر العربي القديم منذ الجاهلية وحتى عصر التجديد زمن العباسيين والوقوف في أحضانه لاستحضار طيف الحبيب غدا عادة لا محيِّد عنها حتى اننا عندما نفتتح سفر الشعر العربي القديم يبرز الطلل شامخا وكانه السمة الحرجة التي تميز القصيدة العربية القديمة فالقصيدة التي تخلو من هذه المقدمة هي قصيدة مبتورة غير مكتملة ،عارية لم تلبس الثوب الفني الجاهلي المعهود ، فنحن نعلم ان هذه المقدمة تحتل صدارة القصائد الجاهلية.[2]

ومن دواوين الشعراء الجاهليين ظهرت ظاهرة الصراع بين المثل والواقع عند الشاعر الجاهلي، ذلك الشاعر الذي يسعى ليخل نفسه او على الاقل يسمى لكي يترك من الاثر ما يستحق به الخلود فتنبري له العاذلة محاولة ان ترده الى الواقع الذي عليه المجتمع ويعيشه الناس كلهم و لذلك فهي تلومه وتعذله وتعنفه أحيانا في محاولة منها لتعديل رؤيته للحياة وفلسفته في السلوك للحد من شططه واسرافه .

اتخذ الشاعر من العاذلة غالبا اداة فنية يوضح من خلال حواره معها طبيعة لذلك الصراع الذي كان يعتمل في نفسه بين المثل الذي يؤمن به ويسعى اليه والواقع الذي يرفضه ويريد الخلاص منه او الانفكاك من رتابته.

ولتوضيح جوانب هذا الصراع وصوره واشكاله عندالشعر الجاهلي كان لابد من التطرق لمجموعة من القضايا التي كان يحتدم فيها ذلك الصراع و يقوى فيها موقف العاذلة جليا واضحا فكانت القضايا الاتية هي ابرز مواقف الشد والجذب في هذه المعادلة التي بدا الشاعر مشيوحا بين طرفيها.

---

[1]– كتاب جماليات الاسلوب في الشعر الجاهلي لدكتور عبد الكريم الرحيوي طبعة 1435–2014 ص17

[2] – المرجع نفسه ص18.

قضية الكرم، قضية الخمر، قضية اكرام الخيل، قضية الغزو والاقدام في الحب، قضية الفرار والهزيمة، قضية الحزن على فقدان الاقارب [1]

اشهر ما جاء في الشعر الجاهلي المعلقات وهي قصائد طويلة من خيرة ما كتبه الشعراء الجاهليين او ما وصلنا من شعرهم قيل انها سميت بالمعلقات لآنها كتبت بماء الذهب وعلقت على جدار الكعبة وقيل لأنها تعلق في النفس لجودتها وفخامتها ، اما مطالع المعلقات العشر واصحابها فهي:[2]

- قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ – امرؤ القيس.
- لِخولة أَطْلاَلُ ببرقة ثهمد– طرفة بن العبد.
- آذنتنا ببينها أسماء – الحارث بن حلزة.
- أَمِنْ أُمِّ أوفى دِمنة لم تكلَّمِ –زهيربن ابي سلمى.
- أَلا هُبِّي بصحنك فاصبحينا – عمرو بن كلثوم.
- هل غادر الشعراء من متردَّم –عنترة بن شداد.
- عفت الديار محلها فمقامها – لبيد بن ربيعة.
- ودع هريرة ان الركب مرتحل – الأعشى .
- اقفر منا أهله ملحوب – عبيد بن الأبرص.
- يا درامية بالعلياء والسند – النابغة الذبياني.

شعراء العصر الجاهلي:

من اشهر شعراء العصر الجاهلي نذكر ما يأتي:

-طرفة بن العبد.

-الحارث بن حلزة .

[1]– كتاب جماليات الاسلوب في الشعر الجاهلي لدكتور عبد الكريم الرحيوي طبعة 1435–2014 .ص18

[2]المصدر : 13 – بتصرف عن مقالة المعلقات 18:38marefa.org

-زهير بن ابي سلمى .

-عمرو بن كلثوم.

-عنترة بن شداد.

-لبيد بن ربيعة .

-عروة بن الورد.

الشنفرى.

-أوس بن حجر.

-حاتم الطائي.

فهذه لمحة خاطفة عن الشعر الجاهلي وتقاليده فهو نموذج لكل الشعر الذي سيأتي بعده وسيشكل المعيار النقدي في وجه التجديد.

الشعر في صدر الإسلام :

قضية الإسلام والشعر يعرف العصر ما بين حكم الرسول و الخلفاء الراشدين وعصر بني أمية بـ(عصر صدر الإسلام) وأدب تلك الحقبة هو ادب صدر الاسلام بقسميه النثر و الشعر.

عند النظر إلى ثقافة الجزيرة العربية والعربي قبل الإسلام، تجد أن الشعر هو المسيطر على أغلبية الحياة الثقافية؛ ومما لاشك فيه أن الشعر كان بمثابة السجل الذي تدون فيه الحياة العربية. ثم ظهر الإسلام وانتشر في الجزيرة العربية، فاصطدم العرب برسالة جديدة لم يألفوها وبكتاب بليغ لم يستطيعوا مجاراته، فخرست الألسنة وتراجعت مكانة الشعر والشعراء. بعد دخول الشعراء الإسلام حاول هؤلاء الشعراء محاكاة الدين الإسلامي شعرًا، إلا أنهم قد تسربلوا بعباءة الجاهلية، فخرج الشعر في معظمه جاهلياً بناءً، وإن استمد المعاني الإسلامية والمرادفات.

❖ **موقف الاسلام من الشعر:**

قال الله تعالى: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ*إِلَّا الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلِواْ الصَالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[1]

قال الرسول عليه الصلاة والسلام " إنَّ من الشعر حكمة "

أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

قال النبي صلى الله عليه وسلم "لحسان "هاجهم وجبريل معك.

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعرا "[2]".

ظن كثير من الناس قديما أن المقصود بالآية الكريمة ذم الشعراء المشركين الذين كانوا يهجون النبي فقط.[3] ومما زاد في ذلك الاعتقاد الاستثناء بقوله تعالى " إِلَّا الذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلِواْ الصَالِحَاتِ وَذَكَرُواْ اللهَ كَثِيرًا وانْتَصَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ "[4] إلا أن المقصود في الآية الكريمة طريقة الشعراء ، ليس الشعراء أنفسهم ، فجاء ذكر أنهم يتبعهم الفاسدون ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون من هجاء للناس أو مدح الزيف أو وصف للخمر أو غيرها من الأغراض التي تعارض دعوة الإسلام ، خاصة الهجاء الفاحش الذي كان يهجوه كفار قريش للنبي عليه الصلاة و السلام وتشكيكهم في دعوته و رسالته ذكر القرآن الصفات التي يقبلها من الناس عامة ومن الشعراء خاصة وهي : الإيمان بالله قولا وعملا ، لا يشغلهم الشعر عن ذكر الله وقراءة القرآن وفهم السنة ، ثم إنهم بهذا الشعر لا يبغون ؛ بل يدافعون عن الله ورسوله وعن أنفسهم ليردوا ظلم الناس لهم بالحق.

---

[1] **القرآن الكريم الآيات (221 إلى 227) سورة الشعراء1] 0[**

[2] **البخاري (صحيح البخاري) تحقيق طه عبدالرؤوف الدار الذهبية من ص 1261إلى ص 1263**

[3] **شوقي ضيف (العصر الإسلامي) دار المعارف ط12 ص 44**

[4] **القرآن الكريم الآية 227 من سورة الشعراء**

الأدلة التي جاءت من السنة النبوية جاءت لتساند وتعضد النص القرآني ففي قول النبي (إن من الشعر لحكمة)، وإعجابه بشعر لبيد، وحثه لحسان بن ثابت على الرد عنه وهجاء قريش؛ كلها تؤكد ضرورة (أسلمة الشعر) أي جعل الشعر يخرج من مصنع الإسلام بخامات إسلامية ليعبر عن قيم الاسلام و تعاليمه.

أما تحذير الإسلام من أن يكون ما يغلب على الإنسان الشعر هو شيء طبيعي، بعد أن تصدر القرآن الكريم والسنة النبوية الاهتمام الغالب للإنسان المسلم ، فكان غلبة الشعر على الفرد حتى ينسيه ذكر الله هو عودة للجاهلية بأخلاقها المذمومة وعاداتها التي أعلن الإسلام الحرب عليها " فذلك أن الصدى القوي الذي رنَّ في أسماع العالمين بكنة الرسالة الجديدة وفلسفتها ، كان جديرا بأن يوقف أساليب القول والتفكير إلا في هذه الرسالة نفسها[1]

ومما يزيد من صحة القول أن البخاري نفسه وضع عنوان الباب عن كراهة أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله.

لقد فهم الصحابة ذلك فهما جيدا، فلقد حرص الخلفاء الراشدون على تعليم الناس القرآن فهو خير من الشعر، ومع ذلك لم يهملوا الشعر[2]. ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام إلى علي بالبصرة، وقال له: " إن ابني هذا من شعراء مضر فاسمع له " فأجابه علي: "علمه القرآن"[3] على أنه قد ازدادت الحاجة إلى الشعر لما عمدوا إلى تفسير القرآن لمعرفة غريب الألفاظ أو بعض المعاني قال الخلفاء الشعر، فقد روي لأبي بكر قصيدة حماسية ، وروي لعمر أبيات في الحكمة ، وكذلك لعثمان؛ أما علي فالمروي من شعره كثير بعضه قاله في صفين؛ وكان الخلفاء يمنعون الشعراء

[1] **مصطفى الشكعة "الأدب في موكب الحضارة الإسلامية" كتاب الشعر دار الكتاب اللبناني بيروت ص 91**

[2] **جرجي زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية" المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 191**

[3] **ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء التاسع، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، ص 271**

من هجوم وهجو الإسلام والمسلمين وأشدهم الفاروق عمر، فقد أخذ عهدا على الخطيئة ألا يهجو رجلا مسلما [1]

وهكذا قام الإسلام ورجاله بمنع الشعر البذيء الذي لا يتفق مع الإسلام أو انشغال الفرد المسلم بالشعر عن أمور دينه.

❖ **من الشعراء المخضرمين في صدر الإسلام :**

حسان بن ثابت أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام، ولد بالمدينة، ونشأ في الجاهلية، وعاش على الشعر، فكان يمدح المناذرة والغساسنة، وبالغ في مدح آل جفنة من ملوك غسان فأغدقوا عليه العطايا، وملأ وايديه بالنعم، و لم ينكروه بعد إسلامه فجاءته رسلهم بالهدايا من القسطنطينية ، ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أسلم حسان مع الأنصار ، وانقطع إلى مدحه والذود عنه، وأصبح الشاعر المنافح عن دين الإسلام، فاشتهر بذلك ذكره، وارتفع قدره، وعاش ما عاشم وفور الكرامة مكفي الحاجة من بيت المال حتى توفي سنة 54 للهجرة بالغا من العمر مائة و عشرين سنة، و قد كف بصره في آخر أيامه.

اشتهرت مدائحه في الغسانيين قبل الإسلام، ومن أشهر ما وصلنا من تلك القصائد التي جاء فيها:

للهدرّ عصابةٍ نادمتهمّ***يوماً بجِلَّقَ في الزمان الأولِ

أولاد جفنة حول قبر أبيهمُ***قبرا بن مارية الكريم المفضلِ

يسقون من وردا لبريص عليهمُ***برَدى يصفّق بالرحيق السلسلِ

بِيضُ الوجوه كريمةُ أحسابهم***شمَال أنوف من الطراز الأولِ

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم***لا يسألون عن السواد المقبلِ

[1] **مصطفي الشكعة (الأدب في موكب الحضارة الإسلامية) ص 91**

كعب بن زهير :

أبو زهير بن أبي سلمى من فحول الشعراء في الجاهلية، وهما من قبيلة مزينة. وقد تلقن الشعر عن أبيه، ومعروف أن كعبا و بجير أخاه والخطيئة أدركوا الإسلام، وكان أسبقهم إلى الدخول فيه بجير؛ وقد هجاه أخوه كعبا حينئذ هجاء شديدا تأذى منه رسولا لله.

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالة***فهل لك فيما قلتَ بالخيفِ هل لكا

شربتَ مع المأمونِ كأساً رويةً***فانهلك المأمونُ منها وعلَّكا

وخالفت أسبابَ الهدى وتبعتهُ***على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِك دَلَّكَا

على خلقٍ لم تلفِ أمًّا ولا أباً ***عليه ولم تدرك عليه اخاً لكا

❖ **الشعر في العصر الاموي :**

بدأ العصر الاموي سنة 41 هجري بسيطرة معاوية بن ابي سفيان على الدولة الاسلامية ثم انتهى سنة 132 هجري بسقوط الدولة الاموية و قيام الدولة العباسية و انتقال الخلافة الى بغداد .

مر الشعراء بحالة من الركود في العصر الاسلامي و لما قامت الدولة الاموية انطلق الشعر مزدهرا مرة اخرى في كل المجالات كما كان في العصر الجاهلي بسبب تعدد الاحزاب السياسية و كثرة المفاخرة بين الشعراء بالإضافة الى فساد الحكم و اطلاق حرية التعبير فازدهر شعر الغزل بنوعيه العفيف و الصريح و ظهر شعر النقائض على السنة الشعراء .

لقد تم البحث في الشعر الاموي على انه امتداد للتجربة الجاهلية و تطوره تحت تأثير التحولات الكبرى لهذا العصر بظهور الدين الاسلامي و التبدل العام على نواحي الحياة السياسية و الفكرية و الاجتماعية و من ناحية اخرى نراها بالحياة المدنية و يتمثل التحول الشعري بان العصر الاموي براي الشاعر و الباحث ادونيس في كتابه "الثابت و المتحول" في التجربتين: الاولى يسميها التجربة الذاتية و يعني بها اعطاء الاولية للعالم الداخلي عالم العواطف و الرغبات و الاهواء على العالم الخارجي عالم القيم الاخلاقية والاجتماعية او على الاقل تغليب الاولى على الثانية والثانية هي التجربة السياسية الايدولوجية ويعني بها التوحيد بين الشعر و الفكر او اعتبار الشعر شكلا من اشكال الفكر

... ويتابع فيقول: واذا امكن ان نربط التجربة الاولى بامرئ القيس فمن الممكن ان نعتبر التجربة الثانية امتداد لموقف الاسلام من الشعر و للمنحى الذي يتمثل في شعر عروة بن الورد وحياته

اذا الصح القول ان الشعر في الجاهلية كان "ديوان العرب" وانه لم يكن للعرب "علم اصح مله" فإننا نستطيع ان نصف الشعر الجاهلي بانه الاصل الاول للثقافة العربية. ولا يجوز ان يوحي هذا الوصف بان الشعر الجاهلي نمط واحد, بخصائصه و مناحيه , انه بالتالي واحد lامن قضاياه و موضوعاته. ذلك ان دراسة هذا الشعر تؤكد ما يناقص ذلك فالشعر الجاهلي شبكة من الخيوط و الاتجاهات، و ليس خيطا وحيدا. و برأي نفس الباحث: ان هذا التعدد تجلى بدءا من ظهور الاسلام، في اتجاهين: الاول يحافظ على القيم السائدة القديمة التي اقرها الاسلام و الجديدة التي نشأت معه، والثاني يتمرد عليها و يخرج.

ويتابع بأن يصف شعراء التجربة الاولى أي التجربة الذاتية، بانهم شعراء التمرد على القيم السائدة، وهي هنا أواخر المنحى الذي يمثله امرؤ القيس فان من الطبيعي ان نشير اولا الى مظاهر تمرده وخروجه و خصوصا انه يمثل في التراث العربي و النموذج الشعري الاول للخروج اي التحول .

تمرد الذات الشعرية و تطلعاتها: من خلال الدراسات المستفيضة على شعر هذا العصر، نلاحظ ان اهم التحولات و التغيرات التي طرأت على القصيدة كانت في منحاها الذاتي حيث كان هناك توكيد على الصلة بين الشعر والحياة اليومية. وخاصة جوانب اللهو واللذة من هذه الحياة و هي التي تتجسد في شعر الحب و الخمرة ، ونرى تعمق الحس المدني نتيجة الحياة الحضرية المترفة كما في شعر عمر بن ابي ربيعه حيث ظهرت جمالية مدنية، مقابل جمالية بدوية كانت و هنا لابد من ملاحظة التمرد و رفض القيم البدوية و القيم الدينية الناشئة والاخلاقية. فامتزجت القصيدة بالأغاني حيث تلين اللغة الشعرية، وكتابة المقطوعات والقصيدة ذات الموضوع الواحد و كتابة الشعر بأوزان خفيفة و ايقاعات سهلة بذلك اصبح الشعر تجربة ذاتية.

لقد وصل هذا المنحى الذاتي الى اوجه الجمالي في شعر ذي الرمة، والى اوجه الجنسي في شعر عمر بن ابي ربيعه والى اوجه النفسي في شعر جميل بثينة فقد اعطى ذو الرمة اللغة الشعرية بعدا

تصويريا لا عهد لها به فاكمل بذلك ما بداه امرؤ القيس، وفتح لمن سياتي بعده العالم الشعري الحقيقي واعني به عالم المجاز. ففي شعره نلتمس البداية لاعتبار الشعر اكثر من مجرد تعبير عن الحياة و النظر اليه كطاقة تكمل حياة و تضيف اليها ما لا تقدر عليه الطبيعة بذاتها نتلمس بتعبير اخر بدايات اعتبار ابداعا لا مجرد نقل و تفسير وهكذا يضعنا شعره في افق من المماثلات والمقابلات فيما بين العناصر الطبيعة و اشياءها، البدوية و الحضرية الكونية و الذاتية و الجسدية و الذهنية بحيث تبدو الطبيعة كلها على تباين عناصرها و تضادها وحدة وجود و وحدة خيال وفي هذا ما يجيد بالكلمات عما وضعت له اصلا ويعطيها معاني جديدة و ابعادا جديدة.

والواقع ان شعر ذي الرمة يمثل مرحلة انتقال اي مرحلة تجريب فهو انتقال بين اللغة الشعرية الواقعية واللغة الشعرية المجازية وهو انتقال بين الشعرية المجازية وهو انتقال بين التقليد والتجديد وهو انتقال بين الحساسية الحضرية ولعل ذالك هو ما يفسر اضطراب النقاد في نظرتهم لشعره.

❖ **التطور و التجديد في الشعر الأموي :**

الأفكار: تميزت الافكار عموما بوضوحها و عدم المغلاة في اخفائها وراء الكلمات. اهم المواضيع كانت الغزل العذري و الاباحي و المديح والذم مثل المناظرات الكلامية الشهيرة بين جرير والفرزدق. كما كان هناك عدد من القصائد التي تناولت المواضيع الدينية خاصة وان عددا من الشعراء الذين عاصروا بداية الدعوة الاسلامية كانوا لا يزالوا بين الاحياء .

العاطفة :حتى اللحظة لم يختلف الشعراء في رهافة عاطفيتهم و حساسيتها ولا في صورهم عن شعراء العصرين الجاهلي و الراشدي فكانت الدافع المباشر الى القول و حددت موقف الشاعر ففتحت الباب الى نفس المتلقي و بعثت القصيدة فيها .

تشكل العاطفة الدعامة الاساسية للقصيدة وتكون اهم من الحقائق و الافكار و الهدف الرئيسي منها اثارة الانفعال في نفوس القراء والسامعين بعرض الحقائق رائعة و تمتاز العبارة بالانتقاء و التفخيم و الوقوف على مواطن الجمال كما تكون الصور الخيالية و الصنعة البديعية و الكلمات الموسيقية مظهر

الانفعال العميق فاتت العبارة في القصيدة الاموية جزلة قوية اذا عبرت عن عاطفة قوية حية و العمل الادبي هو صياغة هذه العناصر في وحدة متكاملة للتعبير عما يريد الاديب ان يقوله.

❖ **أعلام الشعر الأموي** :

جرير(33 هـ - 110 هـ/ 653 - 728 م)

الاخطل (19-90 هـ /640-708 م)

الفرزدق (38- 110 هـ / 658-728 م)

الوليد بن عقبة (؟ - 61 م / ؟-680م)

❖ **البنية النموذجية للقصيدة العربية القديمة:**

حتى نقف على ملامح التجديد في شعر بشار أو التجاوز والتحديث لا بد أن نتصور بنية القصيدة القديمة والتي سيحاول بشار التجديد فيها.

وأفضل من وصف بنية القصيدة القديمة وأجزائها ابن قتيبة الذي قال: "سمعت بعض أهل الأدبي ذكر أنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين. ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة و الشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، لأنّ التشبيب قريب من النفوس. فإذا علم أنّه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النّصب و السّهر، وسرى الليل وحرّ الهجير، و إنضاء الراحلة و البعير، فإذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حقّ الرجاء، و قرّر عندهما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة ، وهزّه للسّماح، وفضّله على الأشباه، وصغّر في قدره الجزيل"[1].

فبنية القصيدة تتألف من أجزاء على الترتيب التالي:

المقدمة الطللية.

النسيب والتشبيب أو الغزل.

[1] **ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة عام النشر: 1423 هـ، ج1، ص75.**

وصف الرحلة.

❖ **المديح**: وهو الغرض المركزي وما قبله تمهيد له.

يقول أيضا: "فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدّل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر، ولم يطل في ملّال سامعين، ولم يقطعوا بالنفوس ظمآ إلى المزيد"[1].

ويرى إحسان عباس أن ابن قتيبة يؤمن أن بناء القصيدة على هذه المقدمات إنما كانت تستدعيه الرغبة في لفت الانتباه وإشراك السامعين في عاطفة الشاعر، وهي عاطفة تسهل المشاركة فيها لأنها قريبة إلى القلوب جميعا، كما يرى أن مبنى القصيدة لابد أن يظلم تناسب الأجزاء معتدلا لأقسام فلا يطيل في قسم منها في ملال سامعين، ولا يقطعوا بالنفوس ظمأ إلى مزيد[2].

فالتقليد الشعري العربي القديم يقوم على ركيزتين:

الأولى هي بنية القصيدة أو نهجها المتعدد الأغراض وهو ما سبق.

الثانية: أداء المعنى وطريقة التعبير أو ما أطلق عليه اسم عمود الشعر[3].

وعمود الشعر تحدث عنه القدامى والمحدثون كثيرا وهو عبارة عن تقاليد الأولين في قرض الشعر وهو مفهوم اكتمل على يد المرزوقي الذي وقد عاد إلى العناصر التي عدها الآمدي و وضحها الجرجاني من قبل وهي:

(1) شرف المعنى و صحته.

(2) جزالة اللفظ و استقامته.

(3) الإصابة في الوصف.

(4) المقاربة في التشبيه.

---

[1] **المرجع نفسه، ج1، ص76.**

[2] **ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الطبعة: الرابعة، 1983 الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، ص112.**

[3] **ينظر: سامي سويدان، في النص الشعري العربي، دار الآداب، لبنان، ط1، 1989، ص106.**

وزاد عليها:

(5) التحام أجزاء النظم والتئامه اعلى تخير من لذيذ الوزن.

(6) مناسبة المستعار منه للمستعار له.

(7) مشاكلة اللفظ وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

واستغنى عن " الغزارة في البديهة " وعن (كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة " وعد هذا العنصر الثاني متولداً عن اجتماع العناصر الثلاثة الأولى وقد استخلص مازاده من قدامة، كما أنها استخلص عيار كل عنصر منها من الحصول العام المجتمع من آراء الآمدي وقدامة والجرجاني وابن طباطبا، فكانت صياغته لعمود الشعر هي خلاصة الآراء النقدية في القرن الرابع، على نحو لم يسبق إليه ولا تجاوزه أحد من بعده، فلولم يكن عمود الشعر هو الصيغة التي اختارها شعراء العربية، لكان في أقل تقدير هو الصورة التي اتفق عليها النقاد[1].

فعمود الشعر هو مجموع آليات إنتاج الخطاب الشعري التقليدي والتي تقصي مذهب البديع وتهون من شأنه وهو المذهب الذي جاء به بشار بن برد تجديدا للشعر العربي.

في الخلاصة نقول بأن الشعر العربي قبل العصر العباسي كان يمثل نموذجا واحدا باستثناء نماذج قليلة مثلت شذوذا لكنه غير صارخ، ولا بد للشعر العربي أن ينتظر العصر العباسي عصر المحدثين والمولدين ليشهد نهضته الحداثية الكبرى على يد مجموعة من الشعراء يقودهم بشار بن برد رائد التجديد والتحديث في القصيدة العربية.

[1] **ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد، ص404.**

الفصل الأول :القصيدة العربية قبل العصر العباسي:

– المبحث الأول : أغراض الشعر في العصر الجاهلي

1–.الغزل: تعددت صور الغزل على اختلاف شعوب العالم وعلى إثره ألصقها بالنفس والجسد فهو التعبير الراقي عن الغريزة والتصوير الفني لها بين الذكر والأنثى من تجادل أزلي أبدي لا انفصام له. فلقد تعددت صوره و ترجمت هذه الغريزة بين شعوب العالم خصوصا التي عرفت الاستقرار... قد ترجمت هذه الغريزة بصورة مرسومة على ألواح وبتماثيل منحوتة من حجارة وبمسرحيات يحاكي فيها الممثلون العشاق...[1] (وكانت الصورة التي رسم بها العرب البداة المترحلين بينجنبات الصحراء جمعوا الفنون كلها في فن واحد وهو الشعر بريشته رسموا المرأة. وعلى إيقاعهأرقصوها. ومن ألفاظه ومعانيه نحتوا تماثيلها... لم يبهت فيها لون ولافتر حس)[2].

إن المتأمل لهذا القول يجد أن الشعر كان الطريقة التي جسدوا من خلالها ترجمتهم للغريزة والفطرة التي فطر ووجد عليها الإنسان.

والمتأمل للموسوعة الشعرية الجاهلية يجد أن نصف الشعر الجاهلي غزل وفي هذا الصدد يقول شكري فيصل:(أن الثورة الشعرية كالقطعة الذهبية ذات الوجهين نقش الجاهليون على صفحتها الأولى عواطفهم التي أبعثهم فيها الحب وما يؤدي اليه هذا الحب من وصل وهجر ومن سعادة وشقاء)[3] . وأمام هذا الكم الهائل من الثروة الغزلية التي وصلت إلينا فإنها لم تكن على نمط واحد بل تعددت أنماطها ومن أبرزها:

غزل المطالع:

لقدأدرك الشعراء الجاهليون نفوذهم في ذلك حواسهم وحدسهم الصادقين فظل الغزل على الأغراضالأخرى.فجعلوه مفتتح القصائد ليلفتواإليهمالأسماع ولينفذوا من الأسماعإلى القلوب بلا عناء

[1]– غازي طليمات ،الأدب الجاهلي قضاياه– أغراضه– أعلامه فنونه مكتبة الإيمان،دمشق –سوريا ،ط1،شعبان1413،شباط1992ص109.

[2]– المرجع نفسه ،ص110.

[3]– المرجع نفسه، ص111.

و لا استئذان. وربطهم الطلل بالمحبوبة يعبرعن صدق صلتهم ووفائهم للوطن والسكن وعلى جعلهم المرأة أقوى الوشائج التي تشدهم إلى مثابرتهم في الحل والترحاب وأي كلام أحب إلى العاشق المغترب من ذكر الأحبة والديار. فلقد كانت الأطلال على مافيها من وحشة وكآبة المدخل الذي يقضي منه الشاعر الجاهلي إلى الغزل لارتباطها بأحبته. ومن هذا المنطلق كان الشاعر الجاهلي يعمل على إحياء الطلل ويعمل على بعث الروح فيه وهو من خلاله يعمل على إبقاء حبيبته قيد الحياة.

ويدعو له بالسلامة من الآفات وهو في حقيقة الأمر لا يريد السلامة إلا لمن كانت تغمره. وخير ما استشهد به في هذا الصدد امرئ القيس كيف حيا ديار سلمى التي محت رسومها الأمطار الغزيرة وحيا ديارها وكيف سخر من تحيته قبل أن يسخر منها أحد وكيف يعقل أن تسمع التحية و تنعم بالسلامة أرض قفر ارتحل عنها أهلها من شهور وفي ذلك يقول:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي*** وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمن إلا سعيد مخلدا *** قليل الهموم ما يبيت بأوج

وهل يعمن من كان أحدث عهده *** ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال

ديار سلمى عافيات بذى خال *** ألح عليها كل أسحم هطال[1]

2-المدح:

من أهم وأوسع أبواب الشعر الجاهلي حيث كانت له مكانة مرموقة بين الشعراء خصوصا بعد أن أصبح الشعراء يتكسبون بالشعر واتخذوه صناعة مدحوا من خلالها الملوك و الرؤساء.

(فقد كان الشعراء في الجاهلية يمدحون أبطال القبائل وسادتها ويشيدون بمكانتهم بين القبائل ويصفون أخلاقهم ومآثرهم ومحامدهم وشجاعتهم ويتغنون ببطولاتهم)[2] وهذا بعني أن شعراء الجاهلية كانوا يعتبرون الشعر وسيلة للتكسب ثم(قصد المتكسبون بالشعر منهم رؤساء القبائل والأمراء والملوك

[1] **-غازي طليمات ،الأدب الجاهلي قضاياه -أغراضه أ-علامه -فنونه، ص112**

[2] **- عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل بيروت،دت، 310ص**

فمدحوهم وأشادوا بمفاخرهم ومكارم أخلاقهم وخلقهم)[1] وقد امتازت المدائح الجاهلية ببساطتها ودقها وبعدها عن الغلو والمبالغة ولقد تعددت صور المدح الجاهلي. ومن أبرز الشعراء الذين برزوا في هذا الباب نجد زهير بن أبي سلمى من ذلك مدحه هرم بن سنان، والحارث بن عوف اللبيدي عطفان، لسعيهما في الصلح بين عبس وذبيان بقصيدة من النمط العالي ولها مكانتها المرموقة في تاريخ الأدب الجاهلي خصوصا والأدب العربي عموما. يقول زهير بن أبي سلمى :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها *** وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

فأصبحتما منها على خير موطن *** سبيلكما فيه وإن أحزنوا سهل

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت *** ونال كرام المال في الجحرة الأكل

رأيت ذو الحاجات حول بيوتهم *** قطينا لهم حتى إذا نبت البقل

هنالك إن يستبخلوا المال يبخلوا ***وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا أيغلوا

وفيهم مقامات حسان وجوههم *** وأندية ينتابها القول والفعل

على مكثريهم رزق من يعتريهم *** وعند المقلين السماحة والبذل

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم *** مجالس قد يشفى بأحلامهم الجهل[2]

و قد برز كذلك من الشعراء النابغة في مدح ملوك الجيزة وغسان وله هو الآخر مدائح أشهر من نار على علم سجلت بأحرف من ذهب في تاريخ الأدب العربي.

3-الهجاء:

يعد من الأغراض التي كانت أكثر استعمالا في هذا العصر فكان الشعراء يتناولونه بكثرة في أشعارهم والذي كان يرمي من خلاله الشعراء (الحط من شأن القبيلة أو العشيرة أو فرد من أعداء القبيلة. [3]

---

[1]– عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل بيروت، ص 311

[2]–أحمد وطماس، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار المعرفة ، بيروت لبنان ،دط،دت، ص11

[2]– عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ص325

[3]_ المرجع نفسه، ص326

وقد كان الهجاء بمثابة السوط اللاذع الذي يصوبه على خصومه وخصوم قبيلته وينقص من مقامهم ويزري بهم ويضيع من مكانتهم).[1]

فينسب إليهم البخل والجبن والذل والمهانة والهوان. ولقد تعددت دواعي الهجاء ومن أبرز دواعيه هي الخصومات الكثيرة بين القبائل والحروب المشتعلة في الجزيرة العربية. ويمتاز فن الهجاء على غرار المديح بالقصد في السب والشتم وتعمد الأوصاف الاجتماعية المزرية بالفرد والقبيلة من الهون والذل. ولكن مع ذلك كله فإن فن الهجاء لا يضارع المأثور منباب المدح ولقد تعددت الصورة. ومن نماذجه على سبيل المثال لا الحصر.قول عارف الطائي وهو شاعر جاهلي يهجو المناذرة.

والله لوكان ابن حنيفة جاركم *** لكسا الوجوه غضاضة وهوانا

وسلاسل تثبت في أعناقكم***وإذا لقطع تلكم لأقرانا. [2]

و قال مسوار بنو هند بن قيس يخاطب بني أسد وقريش

زعمتم أن إخوتكم قريش *** لهمألف و ليس لكم ألاف

أولئك أومنوا جوعا وخوفا *** وقد جاعت بني أسد وخافوا[3]

وقال مغلس بن حصن الفقعسي يهجو عبسا:

فأعرضت عن سلمى وقلت لصاحبي *** سواء علينا بخل سلمى وجودها

فلا تحسدن عبسا على ما أصابها *** وذم حياة قد تولى زهيدها

تشبه عبس هاشما إن تسربلت *** سرابيل خز أنكرتها جلودها.[4]

4–الفخر:

1 _ عبد المنعم خفاجي الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ص 326

[3] – المرجع نفسه، ص 327

[4] – المرجع نفسه، ص 327

وهو من أوسع أبواب الشعر الجاهلي يعمل من خلاله الشاعر على التباهي بنفسه وبقبيلته أو أمته. ولقد أكثر الشعراء من أحسابهم و أنسابهم وأيامهم و أبطالهم ومآثرهم، وصور الفخر كثيرة ومتعددة اتسمت بالجمالية الفائقة ودقة التعبير حفظتها كتب تاريخ أدب العرب بأحرف من ذهب.

ومن نماذجه على سبيل المثال لا الحصرقول عمر بن كلثوم يفتخر بقومه أمام الملك عمرو بن هند ملك الحيرة :

أيا هند فلا تعجل علينا *** وانظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ***ونصدرهن حمرا قد روينا

وأيام لنا عز طوال *** عصينا الملك فيها أن تدينا

ورثنا المجد قد علمت معد***نطاعن دونه حتى بيننا

وقد علم القبائل غير فخر ***إذ قبت بأبطالها بينا.[1]

و قال أمية بن صلت الثقفي:

ورثنا المجد عن كبرى تزار*** فأورثنا مأثرنا البينا

وكنا حيثما علمت معد *** أقمنا حيث ساورا هاربينا

وأنا النازلون بكل ثغر***وأنا الضاربون إذا التقينا

وأنا المانعون إذا أردنا***وإنا المقبلون إذ وعينا

وأنا الرافعون على معد***أكفافي المكارم مابقينا

لشارد بالمخافة من أنانا *** ويعطينا المفاده من يلينا[2]

وقد قال حجر بن خالد الثعلبي:

وجدنا أبانا حل في المجد بيته*** وأعيارجالا آخر من مطالعه

فمن يسمع من لا ينل مثل سعيه*** ولكن متى يرحل فهو تابعه[1]

---

[1]– **حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، دار الجيل ، بيروت ،دط،دت،ص108.**

[2]–**المرجع نفسه ،ص109 .**

5-الرثاء:

وهو(ذكر مناقب الميت ومفاخره ومأثره ووصف الحزن عليه والجزع لفقده وبيان مكانته في قومه وأثره في المجتمع الذي كان يعيش فيه).[2]

والرثاء على غرار كل من الفخر والمدح و الهجاء باب كبير من أنواع الشعر العربي.

وقد برع فيه شعراء كثيرون على غرار المهلهل بن ربيعة في رثاء أخيه كُلَيبْ ويعد الرثاء هو الذي هيّج شاعرية المهلهل وتأبط شرًا خصوصا في لاميته التي رثى من خلالها ابن أخته، ونجد كذلك الخنساء ومرثيتها في أخيها صخر التي تعد من عيون الشعر الجاهلي.

ومن نماذجه: المهلهل بن ربيعة يرثي أخيه كليب

أهاج قذاة عيني الأذكار***هدى فالدموع لها انحدار

وصار الليل مشتملا علينا***كأن الليل ليس بنهار

وبت أراقب الجوزاء حتى*** تقارب من أوائلها انحدار

أصرفُ مقلتي في إثرِ قوم***تبايلت البلادُ بهم فغاروا

كأن لم تحوها عني البحار***وأبكي والنجومُ مُطَلعات

على من لو نُعيت وكان حيا*** لقاد الخيلَ يحجبُها الغبار

دعوتكَ يا كليبُ فلم تجبني***كيف يجيبني البلدُ القَفارُ

أجبني يا كُليبُ خلاك ذمٌ***ضنيناتُ النفوس لها مَزارُ

أجبني يا كُليبُ خلاك ذمٌ***لقد فُجِعتْ بفارسها نِزارُ

سقاك الغيثُ إنك كنت غيثاً***ويُسراً حين يُلتمسُاليسارُ

أبت عيناي بعدك أن تَكُفا***كأن غضا القتادِ لها شِفارُ

وإنك كنت تحلم عن رجال*** وتعفو عنهم ولك اقتدار

---

[1]– حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، دار الجيل ، بيروت ،دط،دت ص 110 .

[2]– سراج الدين محمد،الرثاء في الشعر العربي ، دار الراتب الجامعية، بيروت لبنان ، ص 12

وتمنعُ أن يَمَسّهُمُ لسانٌ***مخافةَ من يجيرُ ولا يجارُ[1]

6-الاعتذار:

يعد من الأبواب غيرالمنتشرة بكثرة بالمقارنة مع المدح أو الهجاء ولقد أصبح الاعتذار علامة مسجلة باسم النابغة الذبياني باعتذاريته الأشهر من نار على علم.[2] ومن نماذجه النابغة يعتذرانقائلا:

فلا لعمر والذي قد زرته*** وما هريق على الأنصاب من جسد

والمؤمن من العائذات الطير***يمسحها ركبان مكة بين الفيل والسد

ما إن نديت شيء أنت تكرهه***إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

إذا عاقبني ربي معاقبة ***قرت بها عين من يأتيك بالحسد

إلا مقالة أقوام تسقينا بهم***أنت نوافذه حرا على الكبد

مهلا فداءك لك الأقوام كلهم***وما أومل من مال ومن ولد

أنبئت أنا أبا قابوس أوعدني***ولا فرار على زأر من الأسد[3]

المبحث الثاني: القصيدة العربية في صدر الإسلام والأموي

أولا :صدرالإسلام

لقد مضى كثيرون ينظمون في هذا العصر لامع الأحداث، بلمع أنفسهم وقبائلهم مستضئين إلى حد كبير بالإسلام وهديه الكريم، فالشعر لم يتوقف ولم يتخلف في هذا العصر وهذا طبيعي لأن من عاشوا فيه كانوا يعيشون من قبله في الجاهلية وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم وعبروا بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم، واقرأ في كتب الأدب والتاريخ مثل الأغاني والطبري وسيرة ابن هاشم وكتب الصحابة مثل الإصابة والاستيعاب فستجد الشعر بسيل على كل لسان، واقرأ في المفصليات والأصمعيات للمفضل الضبي والأصمعي وكذا الشعر والشعراء لابن قتيبة... ومن يرجع إلى كل هذه

[1] **-سراج الدين محمد ،الرثاء في الشعر العربي،ص 125**

[2] **- حنا الفاخوري ، فنون الأدب العربي ، الفن الغنائي : الفخر والحماسة ، دار المعارف ، ط5،ص12**

[3] **- المرجع نفسه، ص82**

المصادر يستقر في نفسه أن الشعر ظل مزدهرا في صدر الإسلام وهذا على عكس ما ظن ابن خلدون في قوله: (انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم من دين ونبوة ووحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمنا).[1] والذي دفع ابن خلدون على قوله هذا هو ان الشعر ظل في دائرة مغلقة ولم يكن في أوجه خاصة في هذا العصر وذلك بنزول القرآن وهذا ما تناقله ابن خلدون عن ابن سلام الجمحي وتناقله الرواة بعده في قوله:(فجاء الإسلام وتشاغلت عن الشعر العرب و تشاغلوا بالجهاد...)[2] كما جاءت شبهة إصغار العرب للشعر في صدر الإسلام وإعراضهم عنه من مهاجمة القرآن للشعراء في قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون...)[3] فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر وإنما هاجم شعرا بعينه كان يؤذي الله ورسوله وهو نفسه الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا فهم كانوا يركزون على الشعر العفيف والغير خاضع للمجون. إن الإسلام لم يرد عن العرب وشعرهم ونظمهم بل بالعكس كانت القصيدة العربية في هذا العصر في أوجها وذلك بفضل فحول الشعراء الذين كانوا موجودين. كان الصراع مع قريش و كانوا يسددون سهامهم لهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ليس له فقط بل صد عن سبيل الله فكان فريق مع الرسول والمتمثل في حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وغيرهم واحتدم الهيجاء بينهم وبين شعراء مكة وقد عرفت تلك الفترة بروز العديد من ا لشعراء من أبرزهم ابي سفيان بن ضرار بن الخطاب وهبيرة ابن أبي لهب وكلهم كانوا يتخذون من الهجاء سلاحا لاستعادة كرامتهم أمام العرب لان الإسلام فاقهم أدبا وبلاغة ليقاومهم حسان بن ثابت بنفس سلاحهم وينصر المسلمين تحت راية الإسلام . نأخذ لابن الزبعري قصيدته التي قالها في نفس اليوم والتي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ***ضجر الخزرج من وقع الأسل

حين ألقت بقباء بركها ***واستخر القتل في عبد الأشل

---

[1] **شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي عصر صدر الإسلام، دار المعارف،القاهرة ،ط11، دس،ص427 _**

[2] **_ سورة الشعراء،الآية224،ص376**

[3] **_ حديث صحيح البخاري، ص5.**

فقبلنا النصف من سادتهم***وعدلنا ميل بدر فاعتدل.[1]

ليرد حسان بن ثابت في الطرف الآخر و"كعب بن رواحة "وابن سلام الجمحي كلهم قلبا وقالبا فنأخذ ما قاله ابن سلام ردا على سفيان بن الحارث وهجاء للرسول "صلى الله عليه وسلم" :

هجوت محمدا فأجبت عنه***وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي*** لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه ولست له بكفئ***فشركما لخير كما الفداء. [2]

ويتوالى رد المسلمين على هجاء الرسول "صلى الله عليه وسلم " وقد كان أشد القول عليهم هو قول حسان بن ثابت وكعب حتى انهما وصلا إلى الطعن في الأحساب والأنساب. كان للقرآن أن اذاك مثالية واضحة وتأثيرا كبيرا في ذم المشركين إذ جاء خاليا من السب والشتم والطعن في الأحساب والأنساب إنما كان يتوعدهم بالنار ويفتح لهم أبواب الرحمة والغفران .إلا أن شعراء قريش كانوا يشركون في التأليب على الرسول صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأصحابه وكانوا يخذلون عنه قريشا والعرب ليطفئوا انورا لله في أفواههم لكن دون جدوى.

وكان كعب ابن الأشرف أبلغهم سواء يشبب بنساء الرسول "صلى الله عليه وسلم " ونساء المسلمين وهذا ما جعل محمد ابن مسيلمة يقتله في رهط من الأنصار، وكان شعراء قريش يبكون قتلاهم أيضا ويرثونهم فمثلا: رثائهم لقتل بدر كقول ابن مالك يهدد ثقيفا بعد انتصار "الرسول صلى الله عليه وسلم" وبكاءه قتلاهم اي يهود خيبر:

قضينا من تهامة كل وتر ***وخيبر ثم أحجمنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت ***قواطعهن درسا أو ثقيفا

فلست لحاض إن لم تروها***ساحة داركم منا ألوفا

فننتزع ببطن حج ***ونترك داركم منا خلوفا

[1] _شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي عصر صدر الإسلام،ص129.

[2] _ المصدر نفسه،ص129

ونردي اللات والعزى وودا***ونسليها القلائد والشنوفا[1].

بعد السنة الثانية للهجرة لم ينتهي الصراع بين الشعراء فمثلا أبو فراش الهذلي وبكاءه لديته لسادن الفري حين قتله خالد بن الوليد. بينما نجد الكثير من الشعراء أيضا إلى ساحة الرسول "صلى الله عليه وسلم" طالبين منه العفو والغفران وعلى رأسهم شعراء قريش الذين من بينهم كعب ابن زهير وأنس ابن زنيع لينشدوا فيه قائلين:

وما حملت من ناقة فوق رحلها***أبروا أو في من محمد

ولينظم بعدها أبو سفيان بن الحارث أشعارا كثيرة يأسى فيها على ما فاته من أيام دون محمد وصحبه ليقول:

لعمر كأن يوم أحمل راية ***ليتغلب خيل... خيل محمد

لك المديح الجيران أضلع ليلة ***فهذا أوان حين أهدى وأهتدى

وكان الشعر في عصر الخلفاء الراشدين يعرف الكثير من الملاحم الشعرية ذلك بسبب الشرك الذي انتشر بعد وفاة الرسول "صلى الله عليه وسلم ولذا خلقت أشعار كثيرة نتيجة لمعركة الردة بعضها إنذارا وتخويفا و وعضا مثل قول الحارث بن مرة في وعظه بني عامر:

بني عامر إن تنصروا الله تنصروا***وإن تخذلوا الله تخذلوا

وإن تهزموا لا ينجيكم منه معرب***وإن تثبتوا للقوم والله تقتلوا[2]

كما كان بعضها حماسة دينية يهتف بها المحاربون من المسلمين كقول أوس ابن بجير الطائي في موقعة بزاخة:

وليت ابا بكر يرى من سيوفنا ***وما تختلي من أذرع ورقاب

ألم تر أن الله لا رب غيره ***يصد على الكفار سوط عذاب[3] .

[1] _ شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي عصر صدر الإسلام، ص413.

[2] _ شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي عصر صدر الإسلام،274.

[3] _ المصدر نفسه،ص3-55

ونذكر أيضا حادثة معركة صفين لنصر بن مزاحم بأشعار كثيرة اندلعت فيها حروب العصبيات القبلية وقد يكون دخلها انتحال ووضع واسع وكانت هذه الاحداث جذوة الشعر العربي.

وفي شعر الفتوح خرج العرب من جزيرتهم بعد حروب الردة يجاهدون في سبيل الله كلمن الروم والفرس وخلال الجهاد كانوا ينظمون أناشيد حماسية مدوية يمتدحون بشجاعتهم فيها قال في ذلك أبي محجن الثقفي[1]

لقد علمت ثقيف حين زاحم رسم ***كنا الحماة بعمق كالأشطان

الضاربين بكل أبيض مخذم ***والطاعنين مجامع الأضغان[2]

ويذكر أسود بن القطنة حيث يذكر قتل رستم في معركة القادسية:

قتلنا رستما وبنيه قسرا***تثير الخيل فوقهم الهياك

وفى العمر ميزان ولم يحامى***وكان على كتيبته وباك[3]

وهذا الشعر يسوده الإيجاز حيث يجري فيها الشاعر على سجيته و لذلك كانت تشيع فيه البساطة وعدم التكلف. إن القصيدة العربية عرفت عدة أغراض أدبية تنوعت في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم بين الهجاء والذم والتوعد والرثاء ليختلف ذلك في عهد الخلفاء الراشدين بسبب ما وقع من شرك وجهل لموت "الرسول صلى ا لله عليه وسلم "بين التخويف والوعظ والإنذار ليصبح الشعر بعدها في عصر الفتوح يتهج نحو الحماسة أكثر من غيرها لحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله

ثانيا: في العصر الأموي:

لقد برز في الحياة العربية لهذا العصر شعر القصاص والحدود مما شرعه الإسلام، ودخلها أيضا الخوف من الولاة خاصة من عرفوا بالقسوة مثل الحجاج، كما ازدهر الغزل بنوعيه البدوي العفيف والغزل الحضري المتسم باللهو والغناء والترف ولعل من أهم أغراض الشعر الأموي : هو الشعر السياسي والذي ظهر لكثرة الصراع بين الأحزاب السياسية على استلام الحكم من خوارج، وشيعة، وهاشم بن

[1] **_شوقي ضيف تاريخ الادب العربي عصر صدر الاسلام ص 15.**

[2] **_ المصدر نفسه،ص15**

[3] **_ المصدر نفسه،ص17**

وأموين كما يعتبر الغزل والسياسة من المستجدات في ساحة الشعر الإسلامي في هذا العصر(الأموي) والذي لقت فيه القصيدة العربية قيمتها وذلك من خلال مجموعة من الخصائص والأغراض الشعرية التي سادت القصيدة العربية في هذا العصر تحديدا نذكر منها: استقاء الشعراء معظم مفرداتهم من المعجم الإسلامي، وكذا التزام الشعراء الأمويين بالقافية الواحدة والوزن الواحد، أيضا جزالة الألفاظ وقوة التراكيب في جسم القصيدة.

لقد كان الشعر الأموي بمثابة التأريخ الحقيقي لما حصل من وقائع حربية وأحداث تاريخية ثم ظهر ما يسمى بشعر" النقائض" وهو شعر اختص في ذكر التعصب والتفاخر بالأحساب والأنساب وفرسان هذا الصنف الشعري الفرزدق، والأخطل، وجرير.[1]

أغراض الشعر الأموي:

لقد برز في القصيدة العربية لهذا العصر العديد من الأغراض التي سنطرحها نموذجا من خلال أشهر الأبيات الشعرية قول الأخطل في هجاء بني قيس:

إليك أمير المؤمنين نسيرها

تخب المطايا بالعرانين من بكر

برأس امرئ دلى سليما وعامرا

وأورد قيسا لجذي حدب غمر[2]

وكذلك قول ليلى العامرية في رثاء قيس المسمى مجنون ليلى:

أخبرت أنك من أجلي جننت وقد

فارقت أهلك لم تعقل ولم تفق[3]

وكذلك قول حاجب الفيل في مديح يزيد بن المهلب:

وأنت أمرؤ جادت سماء يمينه

---

[1] **_ حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب،دار الجيل،ط،1986ص76**

[2] **_ حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب،ص78.**

[3] **_ حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب،ص 81**

على كل حي بين شرق ومغرب

فجد لي بطرف أعوجي مشهر

سليم الشظى عبل القوائم سلهب[1].

لقد ازدهر الشعر الأموي واتسعت مواضيعه وتطورت أساليبه، وأصبحت معانيه وألفاظه أكثر رقة ولطافة ممشاتا لحالة العصر الجديد، والمظاهر السياسية والثقافية والدينية هذا من جهة أم ا بالنسبة للموضوعات الشعرية فقد كان من الطبيعي أن تتوسع وتزداد في هذا العصر خاصة بعد الانكماش الذي لحقها في عصر صدر الإسلام الذي ركز اهتمامه على الدعوة الإسلامية فقد نظم الشعراء في هذا العصر مواضيع كثيرة في الشعر منها ما كانت موجودة من قبل في الجاهلية والإسلام، فتوسعوا فيها وأكثروا منها ما كان له أثر من الجاهلية والإسلام فأضافوا عليها وعدلوا قواعدها حتى جعلوها غرضا مستقلا بذاته، كالفخر، والهجاء، والمدح، والوصف ,والغزل، والخمريات، والنقائض، ومن أشهر هؤلاء الشعراء الذين كان له مبالغ الأثر في العمل بهذه الأغراض المعرفون بشعراء العصر الأموي المعرفون بكثرة مؤلفاتهم وعظم أسمائهم الأخطل، وجرير، والفرزدق، "شعراء النقائض "،وبشار بن برد والمقنع الكندي، وكذلك شعراء الغزل العذري كجميل بثينة وقيس ليلى ومجنون لبنى وغيرهم[2]

إن القصيدة العربية في العصر الأموي تحديدا لقيت مكانتها وذلك لأن شكلها أصابه شيء من التطور، فالوقوف على الأطلال استمر عند الكثير ونخص منهم شعراء النقائض ولكن ظهرت المقطوعات الشعرية ذات الموضوع الواحد كغزليات عمر ابن ربيعة وخمريات الوليد بن يزيد الذي عرضها بأسلوب قصصي يعتمد على وحدة الموضوع

كما حرصت الدواة الأموية على هوية الشعر والسياسة ولذلك ابتعد عن التطور السريع المفاجئ فبقى في قالبه العربي شكلا ومضمونا في منأى عن العنصر المعجمي.

-المبحث الثالث: الاتجاهات الشعرية في العصر العباسي

[1] **_ حنا الفاخوري ،الجامع في تاريخ الأدب،دار الجيل،ط،1986ص 94**

[2] **_ المرجع نفسه، ص94**

ظهر في العصر العباسي بفعل عوامل متعددة و عديدة الاتجاهات الشعرية الجديدة. لم يكن للشاعر الجاهلي أو الأموي عهدا بها و من جملة هذه الاتجاهات:

1 –المجون:الذي يعرفه محمد هدارة بأنه (ارتكاب الأعمال المخلة بالآداب العامة و التقاليد دون تستر أو استحياء).[1] و من منطلق هذا التعريف نجد أن المجون ظاهرة لها عواقب وخيمة ألقت بظلالها على المجتمع العربي المعروف بطابعه المحافظ الذي ضبط حدوده و تسن قواعده تعاليم القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و رغم أن المجتمع العربي عرف أو عهد نوع من المجون لكنه ليس بالحدة التي عرفها العصر العباسي فقد اقتصر على شرب الخمر وغيرها من صغائر الأمور التي إن فتيت بما شهده العصر العباسي. و يعتبر العنصر الفارسي من الأسباب الفاعلة في اشتداد لهيب تيار المجون.

(فقد تم اختلاط العرب بالفرس بعد أن وصلتهم هذه الأخيرة أن عصر انحطاطهاالاجتماعي...فقد أصبح السكر رذيلة شائعة بين كل طبقات المجتمع الفارسي).[2]

من خلال هذا القول نجد أن الفرس لعبوا دورا جد كبير في شيوع موجة المجون التي شهدها العالم الإسلامي دون سابق إنذار, و لكن لا يمكن تجاهل و بأي شكل من الأشكال الدور الذي لعبه مذهب الغلاة من الشيعة.

فقد كان لهم تأثيرا خطيرا جدا, كاد أن يتحول إلى سيل عرم يحرف في سبيله تعاليم الإسلام و فضائله و يرى هدارة (أن علاه الشيعة.. .الذين حرضوا على الإباحة و ساعدوا على انتشار المجون بدءوا في مزاولة نشاطهم الهدام... بالكوفة...حيث أن الكوفة نشأت بجوار الديانتين اليهودية و النصرانية كما جاورت عقائد السكان الأصليين من منوية ورشيدية و مزدكية و إلى جانب ذلك كانت عامرة بالحانات و الأديرة و فنون اللهو و العبث).[3]إن المتأمل لهذا القول يجد أن كل العوامل تضافرت من ديانات مختلفة و عقائد مختلفة, وثقافة السكان الأصليين جعلت من الكوفة مهد المجون في العالم الإسلامي بامتياز. و من هذا المنطلق نجد تيار المجون في العالم الإسلامي لم يكن نزعة اجتماعية

[1]– حنا الفاخوري،فنون الأدب العربي ،الفن الغنائي، الفخر والحماسة ، ص 90 .

[2]– عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ص 392 .

[3]– المرجع نفسه ص 393

يدعوا إليها الترف و التطرف الاجتماعي و فقط و إنما هو كذلك نتيجة مؤثرات عميقة كالمذاهب الدينية و العقائد الفكرية المختلفة و التأثير الخطير الذي قلب حياته رأس على عقب. كلها عواملكان لها أثر في بروز تيار اللهو و المجون إلى سطح الساحة العربية الإسلامية. و لا يمكنكذلك التغافل عن الدور الذي لعبته حركة الشيوعية في تيار المجون و المتأمل رؤوس الماجنين

من الموالي المتعصبين ضد العرب.(ولقد ركب جهة تيار المجون عدد كبير و غير متناهي من الشعراء من أبرزهم أبان اللاحقي و الحسين ابن الضحاك و دعبل الخزعي و مسلم بن الوليد و والبه بن الحباب ومحمد ابن رياح و أحمد بن روح و حمدان بن زكريا الجزاز و داود بن رزين الواسطي و فضلالرقاشي و أبو قابوس النصراني و الجماز و أبو الشمقمق و عمر الوراق و الحسين الخياط وعلي بن الخليل الكوفي و اسماعيل القراطسي و رزين الكاتب و حماد عجرد و مطيع بن إياسو يحي بن زياد و بن أبي عتيبة..)[1] و لم يقتصر الأمر على الشعراء فقط بل امتطى هذهالموجة جملة من الشاعرات على غرار عدد من الجواري على غرار عنان. و لعل أبرز الشعراءالذين عرفوا بالميل الشديد نحو أبو نواس الذي حمل بين طيات شعره جميع و أبرز ظواهر المجونالتي عرفها الشعر من استهزاء بالعرب و هجاء لاذع لهم و لتقاليدهم بالمقارنة مع الحضارةالفارسية التي ينتمي إليها على غرار قوله.

دع الرسم الذي دثرا*** يقاسي الريح و المطر

و كن رجلا أضاع العلم*** في اللذات و الخطر

ألم ترى ما بنيكسرى*** و سابور لمن غبرا

منازة+ بين دجلة*** و الفرات أخصها الشعرا

لأرض باعد الرحمن*** عنها الطلع و العشر

و لم يجعل مصايدها***بريعيا ولا حرا

و لكن حور غزلان*** تراعي بالغلا بقرا

فذلك العيش لا سيدا*** بفقرتها و لابرا

[1]–محمد هدارة ،اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري، دار المعارف 1982،دطص400.

و إذا ما كنت بالأشياء*** في الأعراب معتيرا

فإنك أيما رجل*** وردت فلم نجد صدر[1]

في هذه الأبيات يأخذ بذم أهل البادية رجالا و نساء. و تحمل هذه الأبيات شغفا لا متناهي بتاريخ الفرس و أناقتها و نفوره في المقابل من حياة البدو التي كانوا يتغنوا بها في أشعارهم.

و من بين مظاهر المجون كذلك التي حفلت بها أشعار أبو نواس المجاهرة بارتكاب اللذة. و لا يكتفي بذلك فقط بل يعمل على تسهيل الناس لإركابهم المحرمات و هذا في قوله:

لست بالتارك لذات *** الندامى للصلاح

قل لمن ينبغي صلاحا *** بعت رشدي بطلاحي

أطيب اللذات ما كان*** جهارا بإفصاح[2]

ولا يكتف عند هذا الحد من الاستهتار والمجون فهو في مواضع من أشعاره يعترف بتحريم ما يرتكبه ولكنه يستشعر اللذة في هذا التحريم وهذه دعوة صريحة للإباحة وذلك في قوله:

فخذها إن أردت لذيذ عيش*** ولا تعدل خليليي بالعدام

وإن قالوا: حرام قل: حرام *** ولكن اللذاذة في الحرام[3]

وفي بعض أشعاره يبلغ مجونه أقصاه.عندما يمزج بين المجون والكفر ولا يكتف بذلك بل يدعو إلى المجاهرة بهماإذ يقول:

فبح باسم من أهوى ودعني من الكنى ***فلا خير في اللذات من دونها ستر

ولا خير في فتك بغير مجانة *** ولا في مجون ليس يتبعه كفر.

2-الزندقة:

لقد عرف مصطلح الزندقة عدة تحولات في مفهومهففي أوليته كان يطلق على اللذين إعتنقواالأراء الفارسية وأخيرا كانت تدل على أتباع الديانة المنوية.ومع ذلك اتسع مدلولها لتصبح مرادفة لكلمة

[1]-محمد هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ص401

[2]-المرجع نفسه ،ص402

[3]- المرجع نفسه ،ص406.

ملحد أي الذي لا يعتد بالدين."[1]وكلمة زنديق في أصلها اللغوي كلمة فارسية وأنها دخلت للعربية في أثناء عملية التوليد والتمازجبين العرب والفرس في القرن الأول الهجري.

وكان مهد الزندقة شأنها شأن المجون في الكوفة حيث العناصر الفارسية والمعتقدات والمذاهب التي يجمعها مفهوم الزندقة.

ولقد لعبت الشعوبية دور كبيرا في تقوية تيار الزندقة حيث (أن الشعوبيين كانوا يهتمون بتحطيم معنويات المسلمين ودس الأكاذيب والمفتريات في أصل دينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا". حتى ينتقموا لأصولهم الفارسية ومذاهبهم ومعتقداتهم القديمة).[2]

مما سبق نجد أن الزندقة على غرار المجون كان له أو كان تراكم لجمله من العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية جعلت من المجتمع العربي ينحو على مناحي الحياة التي عمل الإسلام وممتثلا في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم على ترسيخها فيها لمدة من الزمنبشار بن برد الذي يقول في أبيات له:

قل للعبد الكريم يا ابن أبي***العوجاء بعت الإسلام بالكفر موقا

لاتصلي ولا تصوم فإن***صمت فبعض النهار صوما رفيعا

لاتبالي إذاأصبت من الخمر***عتيقا ألا تكون عتيقا

ليت شعري غداة حليت في*** الجند حنيفا حليت أم زنديقا[3]

و يرى عبد القاهر البغدادي في هذه الأبيات" التي ذكرها بشار في بن أبي العوجاء جمع بين أربعة أنواع من الضلالة وهي أولها أنه كان يرى في السردين المنوية من الثانوية والثانية قول بالتناسخ والثالثة ميله إلى الراقصة من الإمامة والرابعة قوله بالقدر في أبواب التعديل والتحوير[4]

يفسر لناعبد القاهر البغدادي هذه الأبيات تفسيرا كاملا لا يدع وراءه مجالا لشك من الضلالة والانحراف الذي كان يسطع بريقه على المجتمع العربي.

---

[1]عبد المنعم خفاجي،الآداب العربية في العصر العباسي الأول،دار الجيل بيروت ،ط1992،1413،1،ص310.

[2]–المرجع نفسه،ص315

[3]– المرجع نفسه، ص314

[4]–المرجع نفسه ،ص316.

ومن الشعراء كذلك نجد مطيع بن إياس. من ذلك قوله:

نعم لنا نبيذ***وعندنا حماد

وخيرنا كثي***والخير مستزاد

وكلنا مطرب***يطير أو يكاد

ولهونالذيذ***لم يلهه العباد

إن تشتهي فسادا***فعندنا فساد[1]

نجد من خلال هذه الأبيات أن مطيع بن إياس جهر بارتكابه المحرمات وإقباله على الفواحش في غير تستر ولا رياء.

وفي أبيات أخرى يقول:

اخلع غذراك في الهوى***وأشرب معتقة الدنان

وصل القبيح مجاهرا ***فالعيش في القيان

لا يلهينك غيرما ***تهوى فإن العمر فان[2]

من خلال هذه الأبيات نجد دعوة صريحة من طرف الشاعر على الفساد فهو يرى بأن العمر واحد واغتنام الملذات فرصة الإنسان في الحياة ويرى هدارة أن هذه الأبيات تحمل أو تصور نزعة التنوير أو ناحية من نواحي الزندقة الفكرية التي تطلب التحرر من طرف الإرادة الإنسانية وحرية الفرد من أن يفعل ما يشاء دون ارتباطهبأي قيد. ومن الشعراء الذين أثروا ضجة كبيرة في اعتناق الزندقة ووصلت بهم إلى حد القتل نجد صالح عبد القدوس وإن كانت الآراء حوله متضاربة بين النفي والإثبات ومن الأبيات الشعرية التي ننسب له وتؤكد على اعتناقه لمذهب الزندقة قوله:

رب سر كتمته فكأنني***أخرس و أثنى لساني خبل

ولو أني أبديت للناس علمي*** لم يكن لي في غير حبي أكل.[1]

---

[1]–**محمد هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ق2هـ، ص408.**

[2]– **المرجع نفسه ص409.**

هذه الأبيات تنبئ عن سوء مذهب صالح عبد القدوس واختفاءه والشعراء الذين ركبوا هذه الموجة عديدون ومتعددون كل منه له دوافعه

3-الزهد:

يعتبر من الفنون المستحدثة في العصر العباسي " وجاء نتيجة كثرة الترف والدعوة إلى العودة أو الرجوع إلى البساطة وتغليب النظر إلى جانب الفقراء ونقد المجتمع"

إن المتفحص لهذا القول يجد أن الزهد جاء كنتيجة أوكرد فعل على موجة الكفر والترف التي حدثت في المجتمع العربي في تلك الفترة.

ولقد غلبت على شعر الزهد المسحة الدينية التي تبنى أساسها على البساطة في كل شيء.ولكنه ليس مجرد ميل فطري إلى الزهادة وتقوى الله' أو حالة من حالات الإيمان يصورها الشاعر.كما يصور أي شعور ينتابه أو يعرض له فهو بكل بساطة فكرة عميقة يعتنقها الشاعر فتغلغل في كيانه ويلبس لها شعره فلا يكاد الشاعر يصور سواها من أحاسيس النفس أو من الصور التي تقع تحت بصره.

وكما كانت الزندقة والمجون مهدها في العراق.فإن هذا الأخير أي الزهد هو الأخير تجلى في العراق." حيث وجد في العراق منذ القرن الأول هجري كثيرا من النساك الذين أطلق عليهم اسم العباد مثل: معضد بن يزيد العجلي ، والربيع بن حيثم الكوفي"[2]

ورغم الدوافع الإسلامية الخالصة التي كانت وراء نشأة الزهد.إلا أن هذا لا ينف وجود تأثيرات مختلفة في حركة الزهد من مسيحية وبوذية شربت مع حركة التقاء الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية المتباينة ولا يقتصر الزهد في ظهوره ونشأته على العوامل الدينية سواء الإسلام أو الديانات الأخرى فقط. وإنما كانت هناك عوامل سياسية واجتماعية كان لها. الأثر البليغ هي الأخرى في نشأته حيث أن نشأة الأحزاب السياسية وتطاحنها المرير الذي شهده القرن الأول والذي امتدإلى القرن الثاني دفع عدد من الناس إلى التماس النجاة بعيدا عن هذا الصراع السياسي ولعب التطور الاجتماعي الذي حدث في

[1]- **محمد هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ق2هـ ، ص410.**

[2]-**المرجع نفسه، ص434.**

القرن الثاني كان له أثر خطير في تيار الزهد وتطوره .فشيوع تيار اللهو والمجون والزندقة ووجود فوارق واضحةبين الطبقات الاجتماعية في ذلك العصر.كان لا بد من أن يولد حركة عكسية مضادةتعكف على تقوى الله وتقصر نفسها على العبادة. وتحتقر المال وزخرف الدنيا وزينتها. ومماساعد على وجود هذه الحركة المضادة ظهور طائفة القصاص في المجتمع الإسلامي.

لقد ركب هذه الموجة عدد من الشعراء الكبار سجلوا بأحرف من ذهب أسمائهم في تاريخ الشعر العربي منهم " أبو العتاهية, وصالح بن عبد القدوس, و أبان عبد الحميد وقد أخذ الشعراء ينضمون في هذا الباب وإن لم يكن لهم فيه مضمار على غرار أبي نواس" ومن نماذجه قول أبو العتاهية :

رغيف خبز يابس *** تأكله في زاوية

وكوب ماء بارد *** تشربه من صافية

وغرفة ضيقة *** أمسك فيها خالية

أو مسجد بمعزل ***عن الورى في ناحية

تدرس فيه دفترا*** مستندا بسارية

خير من الساعات ** في القصور العالية[1]

4.التغزل:

يعتبر من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعا وذلك لاتصالها الوثيق بالطبيعة الإنسانية.

ولقد تطور تطورا كبيرا خصوصا في العهد العباسي وذلك لدخول عوامل مختلفة عليه حولته من الحالة القديمة المتعارف عليها إلى صورته الجديدة.

ومن صور التغير الحاصلة عليه ما يراه شوقي ضيف" أن الشاعر يقصد في ذلك القطعة التي يعالجها إلى تصوير حبه وما يلقى فيه من وصب وعذاب وبذلك كان تغزله معنويا أكثر من البيت القديم. فالشاعر يعني بحكاية خواطره وقلما يعني بوصف المرأة و مفاحشها "[2]وليس هذا التغير الوحيد الذي

[1]–سراج الدين محمد الزهد في الشعر العربي دار الراتب الجامعية،دط،دت،ص62.

[2]–محمد هدارة، إ اتجاهات الشعر العربي،ص510.

نلمسه (فلقد أضحت موسيقاه أكثر لطفا من موسيقى الشعر القديم لأن الشعراء أخذ ويرفقون اللفظ ويختارون اللغة المألوفة التي تكاد تقتربمن لغة الحياة اليومية. يضاف إلى تجديد الموسيقى اختفاء الأوزان القديمة المطولة من شعرالتغزل. وإقبال الشعراء على الأوزان الرشيقة التي تتناسب مع الغناء).[1]وإن كانت المرأة هي مدارالذي يدور حولها التغزل حيث كانت في الماضي. العصر الجاهلي والإسلامي والأموي. عربيةحرة مستترة في بيتها لا يفارق الحجاب وجهها ممنعة بين أهلها لا تكاد تخلط أحدا أوتجد الحرية في تصرفاتها. فلقد أصبحت في العصر العباسي أم فارسية أو رومية أو هندية أو غيرها من جملة الأمهات المستتيرات في أرجاء العالم الإسلامي وكانت فوق كل ذلك مكشوفة الوجه تخالط الرجال وتجلس إليهم وتغدو وتروح من غير تخرج. تعيش في بعض الأحيان في بيت منبيوت القيان. هذا التطور أحدث شرحا في مفاهيم الجمال عند الشعراء. وكيف لا يحدث وهناك فرق واسع بين العربية والفارسية في الملامح واللون وهذا ما أدىإلى ظهور التغزل الفاحش المنتهك الذي لا يرعى حرمة المرأة ولا يصونها بأي شكل من الأشكال.

وظهر نوع من التغزل لم يعهد له مثيل في تاريخ الشعر العربي على مدى العصور السالفة وهو التغزل بالغلمان. حيث أن الشعراء أوغلوا في المجون والإقبال على الملذات الحسية المختلفة وشهوات الدنيا. لم تعد تفتنهم الجارية الخليعة. الذين ينالون منها ما يريدون بكل سير. وعلى العموم ممكن حصر التغزل فيثلاثة أنواعوهي:

أولا:الغزل المعنوي" الذي لا يشرح جسم المحبوبة ولا يصف كل جزء فيه وما مقدر فيه من جمال. ومدار شعوره للحب نفسه وتأثيره في نفس المحب ومدى ارتباطه بيه واندماجه معه وموقف الحبيبة من صاحبها من الوصل والصد"ومن قبل هذا النموذج ما قاله الحسين بن الضحاك:

إن من لا أرى وليس يراني *** نصب عيني ممثل بالأماني

بأي من ضميره وضميري *** أبدا بالمغيث نتجان

[1]– **محمد هدارة، إ اتجاهات الشعر العربي ،ص510.**

نحن شخصان إن نظرت م *** وروحان إذ ما اخترت يمتزجان[1]

ثانيا: الغزل الحسي" وهو الذي يصل إلى حد الإفحاش. وهو نتيجة درجة التهتك والعهر ...وشيوع المجون والخلاعة بين أطباق المجتمع. ويذكر الشاعر كل ما يشتهيه من وصف كل ما كان بينها وبينه ومحور هذا النوع الرغبة الجنسية العارمة التي تتأجج في كيانه" من ذلك قول الحاركي:

قلت يوما لها وحرك *** ت العود بمضاربها فغنت وغنى

ليتني كنت طاهر عودك يوما ***فإذا ما احتضنتني كنت بطنا

فبكت ثم أعرضت ثم قالت *** من بهذا أتاك في النوم عنا

قلت لما رأيت ذلك منها *** بأبي ما عليك أن أتمنى[2]

ثالثا. التغزل بالغلمان: علنوعية المعنوي والحسي الفاحش فقد تضمن سمات الغلام في التقاطيع البارزة والقد الممشوق والتبذل في الحركات والحديث والتدلل والتخنث" من ذلك قول أبي نواس:

يا أيها الريم الذي صادني *** بمقلة في اللحظ حوراء

وحاجب كالنون قد نمقت *** فوق حجاج العين زجاء

ومحجر أو نور من فضة*** مجلوه بالمقل بيضاء

وعارض أظهر تشبيكه *** كروضة الفردوس خضراء[3]

5-الخمريات:

فن وصفي " انتقل بنفسه عن باب الوصف و أضحى أحد الأبواب الهامة في ميدان الشعر العباسي ورغم إن الخمر في العصر العباسي كان جزءا لا يتجزأ من حياة العرب يقبلون عليها بتهم شديد على اختلاف طبقاتهم دون تحرج. وكانت مدار الكثير من شعرائها يصفونها في شعرهم من قبل أنها أحد

[1]-محمد هدارة ،اتجاهات الشعر العربي ،ص513.

[2]-المرجع نفسه،ص513.

[3]-المرجع نفسه، ص540.

مظاهر الفتوه والكرم وسماحة النفس. ولكنها لم تبلغ المبلغ الذي وصلته في العصر العباسي. ويعتبر الأعشبي قمة الشعر العربي الخمري الجاهلي[1]

ورغم تحريم الإسلام للخمر إلا أن العصر العباسي شهد زوال التحرج الديني ومن العوامل التي ساهمت في ذلك وجود فرق مذهبيه على غرار المعتزلة التي لا ترى إنآياتالقرآن لا تدعو إلى تحريم الخمر. فقالوا:إن الخمر ليست محرمة وإنما نهى الله عن شربها تأديبا.... والمرجئة إن الذين مهما عظم لا يذهب بالإيمان. ولهذا شرب الخمر من أهون الآثام وغلاه الشيعة ومنهم قد أنكروا ما في الخمر من تحريم. وإلى جانب هذا الباب كان لترف الاجتماعي وتدفق الثروة عليه. وتسلط التأثيرات الأجنبية على حضارته. وقد جعل شعراء العصر العباسي القصيدة وفقا على هذا الفن واشملوها بتحسن شعوبها بدلا من وصف الأطلال. ولقد امتطى صهوة جوادا هذا النوع من الشعر عدد لا يحصى من الشعراء ولكن الذي ذاع صيته وأشار بشكل غلبت على شعره بشكل طاغي ومن ذلك نسبته المشهورة.

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا *** بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق عن الثرى ***واضغات ريحا جنى ويابس

حسبت بها مجي وجددت عهدهم *** واني على أمثال تلك لحابس

تدور علينا الراح في سجدية*** حيثما بأنواع التصاور فارس

قراراتها كبرى وفي جنياتها ***مما تدويرها بالفتى الفوارس

فالخمر مازرت عليه حبوبهم *** وللمساء ما درت عليه الفلاس[2]

6-الطرديات:

.يعتبر من أبواب الوصف (وقد كثر في الشعر العباسي بشكل كبير وقد تبع في هذا الفن طائفة كبيرة من الشعراء ولعل أبرزهم فيه هو أبو نواس الذي نبغ في الطرد وكاد أن يخلق هذا الباب خلقا جديدا.

[1]- محمد هدارة ،اتجاهات الشعر العربي ،ص530.

[2]- ، المرجع نفسه ص533.

فنظم الأخيرفي وصف الكلاب المخصصة للصيد وآلاته ووصف رحلات الصيد... واشتهر بالإجادة في هذا الباب وعكف على تجويده وتجديده ولم يتابعه احد من الشعراء فيه إلا ابن المعتز الذي اشتهر بالصيد والطرد).[1]

وقد وصف الشعراء في الطرديات الصيد ورحلاته و آلاته من كلاب وفهود وغربان وصقور وسواها من أسلحة.... كل ذلك كان في قصائد تغلب أنن تكون من الرجز ويغلب عليها صبغة الغريب وهي مع ذلك تتسم بطابع الجمالية الساحرة دقيقة الوصف والتصوير والتشبيه. ومن النماذج على سبيل المثيل لا الحصر طردية ابن المعتز يصف من خلالها كلبة الصيد:

لما تعرى أفق الضياء *** مثل اتسام الشفة اللمياء

و شمطت ذوائب الظلماء*** قدنا لعين الوحش والظباء

داهية محذوره اللقاء*** تحملها أجنحة الهواء

أسرع من جفن إلى إغضاء ***ويخطفها موثق الأعضاء

كأثر الشهاب في السماء *** ويعرف الزجر من الدعاء

بإذن ساقطة الأرجاء***كوردة السوسة الشهلاء

ذا برائن كمثقب الحذاء***ومقلة قليلة الأفداء

صافية كقطرة ماء[2]

[1]– محمد هدارة ،اتجاهات الشعر العربي ،ص543.

[2]– المرجع نفسه ،ص543.

المبحث الثاني: قراءة في تحليل النقاد لقصيدة: "جفا وده فازور أو مل صاحبه"

من روائع شعر بشار بن برد في المديح قصيدته "جفا وده فازور أو مل صاحبه"، وقد اهتم بها النقاد قديما وحديثا، شرحا وتحليلا، وممن حللها تحليلا نقديا وكشف عناصر الجدة والجمال فيها إيليا الحاوي، لذلك سندرس تحليله لهذه القصيدة مع ذكر آراء بعض النقاد الآخرين فيها، ونحاول أن نبين ملامح التجديد في شعر بشار من خلالها.

يقول بشار بن برد:

رُوَيدا تصاهل بالعراق جيادنا*** كأنَّك بالضَّحاك قد نام نادبُه

وسام لمروان، ومن دونه الشَّجا*** وهول كلج البحر جاشتْ غواربه

أحلَّت به أم المنايا بنانِها*** بأسيافنا؟ إنَّا ردي من نحاربه

ركبنا له جهرا بكلِّ مثقف*** وأبيض، تستقي الدماء مضاربه

وجيش كجلح الليل يزحف الحصي*** وبالشَّوك، والجعليِّ حُمرا ثعالبه

غدونا له، والشمس، في خدر أمِّها*** تطالعنا، والطل يجر ذائبه

بضرب بذوق الموت من ذاق طعمه*** وتَّدرك من نجَّ الفرار مثالبه

كأن مثار النقع، فوق رؤوسنا*** وأسيافنا ليلا تهاوي كواكبه

بعثنا لهم موت الفجاءة، إنَّنا ***بنو الموت، خفَّق علينا سيائبه

فراحوا: فريق في الإسار، ومثله***فنبل، ومثل لاذ بالبحر هاربُه

إذا الملكُ الجبَّار صعَّر خدَّه*** مشينا إليه بالسيوف نعاتبه

يقول إيليا الحاوي في مناسبة القصيدة: نظمت هذه القصيدة في مدح عمر بن هبيرة، عامل الأمويين على الكوفة، وقد انتصر مع الخليفة مروان بن محمد علي الضحَّاك زعيم الخوارج وقتله، ثم يبين أهميتها قائلا: وقد رأينا أن نتمثَّل بهذه القصيدة على شعره لأنه ذائعة مشهورة، وبعد ذلك يقف على بنيتها وخصائصها فيما يلي:

1-استهلها بالغزل ولوعة الهوى ومعان في معاتبة الصديق، وعرج عي وصف الجيش والقتال.

2-بشار ممَّن يرون المعاني، غالبا، بصورة حسِّية ويتَّكئ عليها ولا يجهر بها جهرا، فهو لا يحدِّث عن القتال باسمه، بل إنه يلمح إليه بصهيل الجياد في العراق. وصهيل الخيل له وقع في النفس من الخبرة بالقتال، وهو يوحي بعزم الخيل وهمَّتها وأنَّها إذا ما لجمت عن المعركة، فإنها تتحفَّز لها. وليس في هذه التكتيكة إيغال خاص واستبطان المظاهر وإنما ثمَّة تخيُّر للحالة الأدل على واقعها.

3-مستوى الإبداع فيها المأثور في الأقدمين وهي جارية على سنَّة البلاغة، إلاَّ أنه نقح فيها بعض الحماس والنشوة، فترنَّحت بالحمية وتثنَّت، وعبقرية التخير والاقتباس من الواقع.

4-ما زال الشاعر يلمح وكأنَّه تفطَّن في هذه النبذة إلى أن الشعر يُلْمَح ولا يُصرَّح وأن التصريح يقع في حيِّز النثر الواعي والفاقد الإيحائية.

5-ليس في القصيدة المدحية العربية مجالٌ رحبٌ للإبداع إذا كان عمودها ثابتا علي ركائز، والمعاني يتبدَّل لبابها، وأئمة النقد في ذلك العصر كانوا يحسبون الشعر – ضربا من التصوير، كما يزعم الجاحظ، أي أن المعني هو واحد دائم تتغيَّر عليه الحلّة الصورية والبيانية، ومعني القوَّة المنهوك في المدائح قد ألمَّ به الشاعر ثمة، لكنه ..... تخريجا خاصا، بعثه وطرَّبه ووقَّعه على إيقاع الزهو والخيلاء. والعبَّاسي لم يعد يسبغ المعني المعزول، القائم بذاته في ذهنية الإدراك الأوَّل حين كان الشاعر ينثني بالعثور علي المعنى ذاته ويستله من أرحام المعاني ذاتها، وقد زاوجها وولَّدها وأظلّها بعضا ببعض،

فتداخلت وجعلت تتنفَّس في ضمير المعني الظاهر أو المعنى والفكري الذي لم يتخلّ عنه الشّعر العربي قط[1].

فخصائص هذه القصيدة من جهة التجديد هي الصورة الحسية والعذوبة والتلميح، أما البناء فهو على طريقة القدامى.

ويقتفي الحاوي خصائص شعر بشار من خلال هذه القصيدة فقد تجلت فيها بكل وضوح لأنها نموذج حي لشعره التجديدي:

التصوير:

الصورة بصريَّة، تشخص في الأشياء وتتفرَّس بها وهي منقولة عن الملاحظة والخبرة، وأنى لبشار تلك المعاينة؟ إن أمر العمى لعجيب، حقا، ولعل الأعمى يعوَّض علي البصر الخارجي بالبصر الداخلي، بشاشة من الخيال الحسِّي الخاص، وبشار الأعمى يحسّ بذلك الهول أكثر من سواه لأنه فاقد الحيلة بين يديِّ الموج، يتخبَّطه خبْط الاختناق والهلاك، إلا أن الحدقة الداخلية والانقطاع عن مشاهدة العالم جعلت الشاعر يحي كأنه في أسطورة ذاتية، يتخيل المظاهر والمعاني وفقا لإيمان وهميّ أو إيهاميّ وكأن للمنايا بنات تطلقهن بالدواهي والكوارث والموت. تلك نبذة أسطورية علي غرار الأقدمين وهي أنأى من التقرير المباشر، المتهادن، وكأن للمعاني سورة أخرى في خاطر الشاعر والمنيَّة والدة، تلد الدواهي وترسلهن في كل محنة[2].

والتصوير الحسي كان ميزة في الشعر العباسي وهو قائمة على التشخيص والتجسيد خاصة للمعنويات، وهذه سمة من سمات التجديد في شعر بشار.

الخيال:

---

[1]– إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1986، ج3، ص56.

[2]– المرجع نفسه، ص59.

فخيال بشار لا يزال يصفو ويتمرَّد فيتمثَّل الجيش بجنح الليل، إنه قطعة سواد من اكتظاظه وقد سطا وزحف لا يحفل بالشوك والحصى، لا يقتفي على الدروب المطروقة ولا يسير سير الهوينا وإنما يشطر مباشرة إلى غايته غير حافل بالعقبات، وفضيلة الكناية قائمة على الحصى والشوك اللذين يرمزان إلى اجتياز الشاعر للحس والنفاذ فيه واختراقه، وقد كانت الفروسية منذ البدء تمرَّسا بالشظف والقهر وتفوقا في تذليل الصعاب. ولقد باكروا العدوّ كدأب الجاهليين وامعنوا فيه ضربا حتي بات فريقين: اما من القتلى وإما من الهاربين، حاملي عار الهزيمة. ويتخيَّل بشار غبار المعركة حيث تنقض النواميس ويختبط الكون. وهي صورة ذات مؤدَّي او منحي افتراضي تفقد يقينها ووقعها وان كان البلاغيون يطربون لها. وينتسب الشاعر في النهاية الي الموت، نسبة حيَّة مباشرة، إنه يجري في ركابهم أو انهم هم الذين يجرون في ركابه بل إنه والدهم. والتوحّد مع الموت كان تعبيرا عن غاية البطولة والبأس. وفي النهاية فانهم لا يعاتبون عدوّهم بالكلام بل بالسيوف أي بالقتال والقتل[1].

فالخيال العباسي أخصبته البيئة الجديدة والتي تعج بالفكر العقلاني المتنور وآثار الثقافات المختلفة وفنونها البديعة، من هندية وفارسية وغير ذلك، بالإضافة غلى أن بشار بن برد كان يعوض فقدان حاسة البصر بالخيال.

الطبائع الفنِّية:

غلَّف الشاعر معانيه وغشيها بالايقاع الخاص والنَّغم وتلك الموسيقي رنحت المعاني وأحبتها وجعلتها تحمل ما هو أقصي من مضامينها.

تحس أن الإيقاع المترنح، التأثر هو المعني الأكبر الذي يضم القصيدة كلّها في احشائه. وقد ما تتعيَّنه في الوزن وطبائع التفاعيل وتوزيع الحروف والصيغ والالفاظ، الا ان هذا الأمر لا يقنَّن ولا يضبط وانما تنهال به النفس انهيالا بالحدس والنشوة والشجو والرمزيون يحسبون أنه هو جوهر الحالة الشعرية وان

[1] – إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1986، ج3 ص59.

الحقيقة ذاتها ليست سوي نغم. وفي هذه القصيدة بالذات يمكن بل ينبغي ان نعتبر النغمية كعنصر أساسي بل العامل الأهم في التجسد[1].

وهنا يستعين إيليا الحاوي بالمدرسة الرمزية التي تعلي من شأن الإيقاع ورمزيته في الدلالات الوجودية، وقصيدة بشار ذات إيقاعي يحمل سمات الجمال والجلال، القوة والهيبة، السحر والإثارة، وهي عناصر شعرية مميزة.

التشبيه:

التصوير التشبيهي طغى على النص، وقد تتبعه إيليا الحاوي وحلله، حيث يقول: "وقد اقتفى عليه مرارا كدأب من سبقه، إلا أنه أناط به بعدا نسبيا من الاندفاع والتوثب. وأهم التشابيه هي التالية، وفقا لسياق ورودها في القصيدة:

1-كأنك بالضحاك قد قام نادبه.

2-وهول كلج البحر جاشت غواربه: نشير هنا إلي أنه وصف المشبه به طلبا للغلو وإمعانا في المعنى، فالهول ليس كأي موج بحر بل إنه الموج الذي جاشت غواربه. وفي الشعر المعاصر يؤثرون إغفال هذه الإيضاحات مدا لإبعاد الإيحاء.

3-وجيش كجنح اليل يزحف بالحصي وبالشوك والخطي حمرا ثعالبه: أي أنه جيش يكاد ان يسد الآفاق كالظلام. ولست اخال انه تقدم مثل هذا التشبيه في اعراف التشبيه. والصلة بين جنح اليل ليست مبتذلة ولا مبذولة وانما هي مستحضرة بالتقصي في وقع الأحداث وملامح الأشياء. وربما كانت رؤية من العالم الباطني الذي كان يقطنه بشار.إلا ان الشاعر يتخطي التشبيه الذي ابتسر به واستطرد الي نوع من الكناية الخاصة به والتي تتداني نسبيا الي الصورة الحديثة في تأليف ما لا الفة بينه

[1]- إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1986، ج3، ص60.

أصلا وتقريب النائي وتخطي الأساليب المنطقية والعقلية. فالجيش يزحف بالشوك والحصي والخطي الأحمر الثعالب.

والشوك والحصي لا يزحفان وانما الصورة ايحائية اولت الي ذروتها من التصدي النفسي الواقع الحسي وقد تعسف بالعالم الحسي، لأنه كان أدني إلي الحقيقة النفسية، وهذا التمادي النفسي في التقاط الصور جعله يؤلف ما لا الفة بينه، كما قدمنا، يبن الحصي والشوك والخطتي والصلة المنطقية والواقعية ليست بينة كدأبها في سائر التشابيه. ذاك ان بشار تخطي ذلك وامعن في التخطي والإيحائية وبادر إلي التقاط نوع من اليقين الفعلي بين هذه الأشياء في القوة والبطش واللامبالاة بالعقبات، وعبقرية الشعر المعاصر تقوم علي مثل هذه النوع من التأليف النائي، القصيّ يبن الأشياء في صلة مضمرة يتلمسها الانفعال ويهذي بها، مما قد يصدم رعونة المنطق وان كان يستولي استيلاء عميقا علي الوجدان.

وهذه الصورة الأخرى هي مما ابتدعه بشار في صدروه عن اليقين الباطني وتنكبه علي التقرير الخارجي والمعارف الذهنية المختزنة وكما خص موج البحر قبلا في جيشات الغوارب فانه يخص الخطي ثمة باحمرار الثعالب، كي يوضح المعني، ويجلوه ويضاعفه

4-كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا، ليلٌ تهاوي كواكبه: هذا تشبيه اثار جدلا في النقد القديم وكان معظم النقاد يحسبونه من القيم المثلى في شعر بشَّار. وهذا الشاعر الأعمى كان يغتمض علي المعني ويتداوله في خاطره المنطفئ ويفترض عليه الافتراضات حتي خيِّل اليه ان السيوف الملتمعة في المعركة الشديدة الغبار اشبه ما تكون بليل تهاوت كواكبه. وهذا التشبيه يسوقنا الي التعبير عن حقيقة الصورة في الشعر والقيم التي قد تقيم بها.

فمن جهة الصورة تكون نقلية أي انها تنقل مشهدا حسيّا واقعيا وهي ادني الصور وان كانت أسمي من الفكرة. ومن جهة ثانية فان الصورة تستبطن الواقع وتنفذ فيه وتطلع منه وتجلي ضميره فتطلعنا من خلاله علي حقائق مستمرة في قلبه وكامنة فيه. وتلك هي الصورة الفنية الفعلية، تبقي الواقع علي واقعيته، الا انها تكشف فيه غورا جديدا، أي حقيقة فعلية جديدة، والقيمة النهائية للصورة تكمن في

مدي ذلك الكشف الذي لا يستحيل الي فكرة واعية بل انه يظل في حدود الرؤيا. وثمة نوع آخر من الصورة وهو الذي يفترض واقعا ليس موجودا، كواقع الليل الذي تتهاوي كواكبه ولم تتهاو كواكب اليل قط من قبل ومن بعد. وهذا الواقع المتوهم والمفترض قد يهب الفكرة او المعاناة المتمثلة في الصورة بعض الغلو، الا انه لا يهبها قط الفعلية والعمق والصدق، واذا كان النوع الأول يتردى في التقرير فإن النوع الثاني يوشك ان يتردى في.....، وصورة الليل المتهاوي الكواكب هي من النوع الثالث الافتراضي الذي لا يصمد لان المشبه به لا يتصف بصفة الفعلية واليقين، ومع ذلك كله فإن هذه الصورة تؤكد ما كنا نستشفه قبلا من ميل الشاعر الي التقصي ولامعان وان الصورة لا تنال اليه ائتيالا ولا تدر له درا. وللباطنية في التمثيل ما يشبه آفة الواقعية انقراض التشبيه وانفراطه وتفكك اوصاله[1].

والتشبيهان الأخيران يدلان على عبقرية بشار وأنه شاعر مجدد على مستوى الصورة، فهو مبدع فيها ومتفنن إلى حد بعيد.

صور تمثيلية أخرى:

-حلت أم المنايا بناتها بأسيافنا: وقد جعل للمنايا أمّا ولها بنات، كما قدمنا وكن موثوقات وقد قطعوا عنهن الوثائق بأسيافهم، وقيمة هذه الصورة في التمثيلية وان كانت افتراضية.

-كبنا له جهرا بكل مثقف..كناية عن العلو والقدرة وعقب على ذلك بالقول ان مضي السيف يستقي الدماء، وهي صورة ملحمية.

-غدونا له والشمس في خدر مها تطالعنا والقطر لم يجر ذئبه: كناية عن التبكر الي القتال او الاقدام عليه من دون النوم

[1]– إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1986، ج3ص61، 62.

-إذا الملك الجبار صعَّر خدَّه... والصعر ارتفاع عنق البعير وقد استعيرت للكبر، والمعاتبة استعيرت للقتال[1].

إذن قصيدة بشار هذه كثيرة الصور، بخلاف الشعر القديم الذي كان لا يكثر من التصوير، ومن سمات مذهب التجديد كثرة الصور وتداخلها وتشابكها وتعقيدها الذي يأتي من تعقيد العصر وتنوع روافده.

فهذا تحليل إيليا الحاوي للقصيدة وهو تحليل إيجابي يرى بأنها قصيدة تحمل روح التجديد، ويخالفه في ذلك مصطفى الشعكة رغم أنه عدها من عيون شعره، فهو يرى أن بشار عمد فيها إلى النهج الممعن في التقليد، ولولا بيت "كأن مثار النقع..." الذي استهوى النقاد مع مجموعة قليلة لا تزيد على بضعة أبيات أخرى لا تعدو العشرة لردت هذه القصيدة بشارا إلى مدرسة الصحراء الممعنة في البداوة ولجعلته مع الشماخ بن ضرار وذي الرمة على استواء واحد وموازاة على يعتورها خلل[2].

وتلك الأبيات هي أبيات الحكمة الشهيرة في القصيدة، والتي سارت وانتشرت في كتب الأدب والشعر، ومنها:

إذَا كان ذَوَّاقاً أخُوكَ منَ الْهَوَى***مُوَجَّهَة في كلِّ أوْب رَكَائبُهْ

فَخَلّ لَهُ وَجْهَ الْفِرَاق وَلاَ تَكُنْ*** مَطِيَّة رَحَّالٍ كَثيرٍ مَذاهبُهْ

أخوك الذي إن ربتهُ قال إنما*** أربت وإن عاتبته لان جانبه

إذا كنت في كل الأمور معاتباً *** صَديقَكَ لَمْ تَلْقَ الذي لاَ تُعَاتبُهْ

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه*** مقارف ذَنْبٍ مَرَّة وَمُجَانِبُهْ

[1] – إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1986، ج3، ص62، 63.

[2]– الشعكة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص129.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تشْربْ مِراراً علَى الْقذى***ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وذكر الشعكة أن النقاد قديما وحديثا ركزوا على هذه الأبيات وأغفلوا سبعين بيتا تضع بشارا في مكان آخر غير مكان التجديد، ومن مبادئ فن النقد السليم أنه لا يحكم على القصيدة بالجودة لبيت جيد أو لعدة أبيات جيدة فيها، وإنما يقضي للقصيدة بكيانها مكتملا لا مجزءا[1].

فهذه دعوة منه إلى التحليل النصي الكلي، وليس البحث عن بيت القصيد وشعرية البحث المفرد التي شاعت في النقد العربي القديم.

ويختم الشعكة حكمه على القصيدة بقوله: " وإذا كان المديح هو المحك الأكبر للحكم على الشعراء في الماضي بالتجديد أو التقليد فإن قصائد المديح كلها التي قالها بشار تجعل منه شاعراً صحراوياً بدوياً، فلم تخل قصيدة لشاعر مشهور في الجاهلية أو الإسلام من بيت أو أبيات كانت تعتبر من القصيدة على حد تعبير النقاد الأقدمين[2].

وحكمه هذا قاس جدا وتعميمي، وهو ردة فعل معاكسة ومتطرفة، فالأولون حكموا على النص كاملا من خلال أبيات، وهو عكس الأمر، والأولى هو التوسط والاعتراف بأن القصيدة نموذج للانتقال من القديم إلى الجديد بحيث لا توجد قطيعة نهائية مع الموروث القديم، فلا بد من امتزاج العناصر وتداخلها.

وقد تناول هاشم مناع أيضا القصيدة بالتحليل فذكر مناسبتها، ثم شرح ألفاظها، ووقف على صورها، ثم أجرى حولها دراسة تحليلية، تطرق فيها لمعانيها وأفكارها وعاطفتها، وأساليبها وأخيلتها وموسيقاها[3].

[1] الشعكة، الشعر والشعراء في العصر العباسي ، ص140.

[2] المرجع نفسه، ص142.

[3] هاشم مناع، بشار بن برد حياته وشعره، ص51، 90.

ولكن تحليله بصفة عامة تقليدي يجزئ القصيدة إلى عناصر، ويميل إلى الشرح، لذلك لا تبدو فيه ملامح التميز في النص.

ولعل شوقي ضيف كان أكثر إنصافا في الحكم على القصيدة فقد ذكر أن بشارا كان ينزع فيها منزع القدماء حين كانوا يمدحون سادة عشائرهم، ولكن لم يطابق النموذج القديم تمام المطابقة فقد أدخل في نسيج قصيدته خيوطا جديدة كأن يستلهم الكلاميين في قوة البرهان والحجة، فقد استطاع أن يضيف إلى العناصر البدوية القديمة عناصر مستحدثة[1].

وفي الأخير نقول بأن قصيدة "جفا وده..." تعتبر خير نموذج للتجديد عند بشار، فهو تجديد لم يقطع صلته بالماضي بل استحضره وأضاف إليه لمسة العصر وروحه، لأن بشارا كان شاعرا مخضرما يمثل مرحلة انتقال في النسق الإبداعي، وقد تجلى هذا في قصيدته بصورة جد واضحة، فالنص علامة على العصر، وعلى الانطلاقة الأولى للتجديد الذي نما على يد أبي نواس وأبي تمام بعده.

[1] ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط8، ص210، 211.

المبحث الأول: بشار بن برد وملامح التجديد في شعره

يذكر الهاشمي في جواهر الأدب جوانب من حياة بشار بن برد نلخصها هنا في النقاط التالية:

1-هو أبو معاذ بشار المرعث بن برد :أشعر مخضرمي الدولتين ورأس الشعراء المحدثين، وممهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين، وأحد البلغاء المكفوفين.

2-أصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة فنشأ بشار فيهم واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر.

3-كان أكمه مجدور الوجه قبيح المنظر، مفرط الطول، ضخم الجثة، متوقد الذكاء، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة، لا يألف ولا يؤلف.

4-شعره :قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ومجازاً يعبر عليه الشعر من مرابع البدواة إلى مقاصير الحضارة، ومات سنة 167 هـ

5-من شعره:

في المشورة والحكم والنصائح:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن*** برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازم

ولا تجعل الشُّورى عليك غضاضةً*** فإن الخوافي قوةٌ للقوادم

وما خيرُ كفّ أمسك الغلُّ أختها*** وما خيرُ سيفٍ لم يؤيّد بقائم

وخلّ الهوينى للضعيف ولا تكن*** نؤوماً فإنّ الحرِّ ليس بنائم

وقوله:

إذا كنتَ في كلّ الأمور معاتباً*** صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبهْ

فعش واحداً أو صلْ أخاك فإنه*** مقارفُ ذنب مرَّةً ومجانبهْ

إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى*** ظمئتَ وأي الناس تصفو مشاربه

وقوله:

خليليَّ إن المالَ ليس بنافع*** إذا لم ينلْ منه أخٌ وصديقُ

وكنتُ إذا ضاقت عليَّ محلة*** تيمّمت أخرى ما عليَّ مضيقُ

وما خاب بين الله والناس عاملٌ*** له في التقى أو في المحامد سوق

وما ضاق فضلُ الله عن متعفِّف*** ولكنَّ أخلاقَ الرجال تضيق[1]

[1] **الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين الناشر: مؤسسة المعارف، ج2، ص187، 188.**

فهو مولى وليس عربي، ويعتبر أول المحدثين في الشعر العربي، وهو مخضرم عاش أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية، لذلك كان هو الذي قاد حملة التجديد والتحديث في الشعر العربي قديما.

وأما العوامل التي أثرت في شخصية بشار الأدبية فيهي متشابكة كما يقول شوقي ضيف ومنها:

1-كان مولى، وكان يحس بعمق أنه قن ابن قن وأنه من أسرة فقيرة متخلفة في المجتمع، فانطوى على مرارة ولَّدت فيه ميلا قويًّا إلى العُدوان، وقد ورث عن جنسه الفارسي مزاجًا حادًا واندفاعًا شديدًا نحو المتع الحسية.

2-وضاعف ذلك عنده أنه كان مكفوفًا، فعدت وسيلته إلى الجمال والإحساس به حسية: سمعية ولمسية، وغزله من هذه الناحية يصور أثار فقده لبصره وما تتركه حواس السمع واللمس والشم من آثار في نفوس المكفوفين.

3-واندمج في هذه المكونات الشخصية والجنسية مكوِّن البيئة وما كانت تكتظ به من دور الرقيق والجواري والإماء، كل ذلك دفعه لصراحة صريحة في غزله وخمره، وهي صراحة وجد فيها رجال الدين من وعاظ البصرة خطرًا على المجتمع.

4-واشتركت الثقافات الأجنبية والعربية في تكوين شخصية بشار؛ فقد كان يجالس المتكلمين كما كان يجالس من يعرفون زندقة الفرس ودهرية الهند وآراءهم في التناسخ، والمهم أن بشارًا كان واقفًا على معارف عصره وثقافته الدخيلة وكان لها تأثير واسع فيه، حتى آمن بما يقول به المانوية والمزدكية.

5-وربما كان أهم ثقافة أثرت في شعره هي الثقافة العربية التي هيأته للتفوق في فن الشعر، وساعدته في ذلك نشأته اللغوية، واختلافه إلى المربد، وأيضًا خروجه إلى البادية حتى يأخذ اللغة من ينابيعها الأصلية، وبذلك تحولت إليه السليقة اللغوية العربية تحولًا لفت إليه الأنظار[1].

هذا ويمكن أن يقال بأن الثقافة العربية الموروثة عن الجاهليين بامتزاجها مع الثقافات الأجنبية خاصة في مجالس علم الكلام والفلسفة هي التي صنعت شاعرية بشار بن برد، الذي تغذى من معين عقلانية ذلك العصر، يقول شوقي ضيف: " وجدنا معاصريه ومن جاءوا بعدهم يجمعون على أنه هو الذي نهج للعباسيين طريقتهم الجديدة، وهي طريقة كانت تعتمد اعتمادًا شديدًا على الأصول التقليدية للشعر القديم، حتى لتبدو فيه نزعة محافظة وخاصة في مدائحه، فإن الإطار فيها لا يختلف عن الإطار القديم إلا قليلًا؛ إذ يستوفي فيها قيم التعبير الجزلة وكل ما تقتضيه الجزالة من رصانة وقوة في البناء، ومعنى ذلك أن بشارًا الفارسي الجنس

[1] **شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي ص150.**

قد أثر فيه مرباه العربي حتى أصبح عربيًّا خالصًا في أسلوبه وتعبيره. ولا يعني ذلك أنه كان غائبًا في مديحه عن عصره؛ فهو يزاوج بين الماضي والحاضر: يصف الأطلال والصحراء ولكن بذوق حضري جديد فيه رقة، وفيه دقة في استنباط المعاني وتوليدها. إنه ربيب بيئة المتكلمين، وقد أخذ عنهم قدرتهم في بسط الأدلة وتفصيل الأفكار وتفريعها وتشعيب المعاني وتشقيقها، كما أخذ عن الفرس أمثالهم وحكمهم، وتحول إلى معاني الشعر الجاهلي يستخرج منها ما لا يحصى من خواطر، ويستطيع أن يتبين ذلك كل من يقرأ مديحه؛ فنسيجه العام قديم، ولكن خيوطًا كثيرة جديدة تلمع في هذا النسيج"[1].

ولم يكن بشار بن برد رائدا للتجديد الشعري في العصر العباسي من فراغ فقد تميز شعره بخصائص تجاوز بها شعر الأقدمين فمن ذلك ما يذكره كريم الأسدي في نقاط أساسية تعد هي ملامح التجديد في شعره:

–حسن المعاني وتهذيب الألفاظ: يذكر ابن رشيق: سئل بشار : " بم فقت أهل عمرك وسبقت أبناء عصرك : في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأني لم أقبل كل ما تورده علي قريحتي، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها،

[1] **شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي ، ص152.**

وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء مما آتي به".

-بشار أول من فتق البديع: ولم يكتفِ القيرواني بهذه الريادة الفنية ، والأفضلية الشعرية أن يمنحها لبشار ، ولكن جعل بشارا مفتقا لهذا العلم، أي علم البديع.

-الأبحر القصيرة الراقصة، والطويلة المطربة، وشعر الغزل الحسي المفضوح.

- التجديد في أغراضه الشعرية الأخرى من هجاء وسخرية وشعوبية[1].

ولا شك أن أهم عنصر في هذه العناصر هو عنصر البديع الذي يعتبر تحديثا للقصيدة العربية، حيث لم يكن العرب يعتنون بأشكال البديع حتى جاء العصر العباسي بروحه العقلانية فانتشرت ألوان البديع على يد بشار بن برد ثم انتقلت إلى غيره.

وبالإضافة إلى البديع هناك خاصية أخرى أعم وأشمل وتتعلق بالعملية الإبداعية وأثرها على القصيدة، وهي قضية الصنعة، حيث يصنف شوقي ضيف شعر بشار بن برد مع شعر الصنعة، فيقول: "ولعل في كل ما قدمنا ما يوضح كيف كانت صنعة بشار في شعره تقوم على الموازنة الدقيقة بين العناصر التقليدية في الشعر العربي والعناصر التقليدية المستمدة من الحضارة والثقافة المعاصرة، وثَبَّتَ بشار هذه الطريقة بحيث أصبحت منهجًا عامًّا للشعراء من

[1] **ينظر: كريم مرزة الأسدي، بشار بن برد: المجدد العباسي الأول، الحوار المتمدن، العدد: 4070 – 2013 / 4 / 22 – 12:52.**

بعده، وبحيث عدَّ بحق زعيم المجددين، فهو الذي نهج لهم هذا النهج من التطور بالشعر العربي تطورًا لا تنقطع الصلة فيه بين حاضره وماضيه"[1].

تجديد بشار بن برد على مستوى الأغراض:

رصد شوقي ضيف نقاط التحول والثبات في شعر بشار بن برد من منظور الأغراض الشعرية السائدة، ونحن نكتفي منها بالملامح المهمة فيما يلي:[2]

أولا: المديح

يختلف مديح بشار عن المديح القديم فالقصيدة في الظاهر توغل في التمسك بإطار القدماء ومعانيهم، وفيها مع ذلك كثير من عقل بشار وذوقه وبراعته في التصوير.

ثانيا: الفخر

فخره فيه نفس متانة البناء ونفس الصياغة الباهرة التي تميز بها شعراء العرب السابقين من أمثال زهير والنابغة وجرير، وإنه ليضيف إلى معانيه مبالغة تزيدها جمالًا على شاكلة قوله مفتخرًا بقيس مواليه في ميميته المشهورة:

إذا ما غضبنا غضبة مُضَرِيَّةً ... هتكنا حجابَ الشمسِ أو تمطر الدَّما

[1] **شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي ، ص157.**

[2] **_المرجع نفسه ، ص153.**

ثالثا: الهجاء

تطور الهجاء عنده على هدي الأمثال الفارسية القصيرة، إذا استطاع هو وصاحبه حماد عجرد أن يحدثا فيه هذا النمط القصير الذي يقوم على القذف في الأعراض والاتهام بالزندقة والإلحاد.

رابعا: الغزل

الغزل عند بشار يعكف فيه على نماذج القدماء شأنه في كل شعره، فهو يقرأ الغزل الجاهلي ويقرأ غزل عصر بني أمية عند عمر بن أبي ربيعة وأضرابه من أهل مكة والمدينة وعند جميل بثينة وأضرابه من شعراء نجد وبوادي الحجاز، وبذلك يعرف معرفة دقيقة شعر الأطلال والوصف الحسي للمرأة عند الجاهليين، كما يعرف شعر عمر وأمثاله مما يصور قصة الحب ووقائعه وحياته وموته وما يُشْفَعُ به من بعض الحرية، كما يعرف شعر العُذْريين وما يكسوه من عفه وطهر، ويحول كل ذلك إلى غزله. ولا يقف عنده، بل يضيف إليه إثمه ومجونه، وكل ما رفدته بيئته به من أسباب العبث التي زخر بها جو المجتمع العباسي وما أذاعه فيه الإماء والجواري من مجون. وكان بشار لا يأبَه للقيم الخلقية والدينية.

وكما فعل شوقي ضيف فقد قام أيضا مصطفى الشعكة برصد جديد بشار على مستوى الأغراض والموضوعات لكن بتوسع في التحليل والنماذج، لكن هضمه حقه وقلل من شأن تجديده وإبداعه[1].

ويقول هاشم مناع: "لقد أجمع النقاد القدامى والمحدثون على شاعرية بشار من خلال المكانة الفنية التي احتلها، والمنزلة العالية التي حافظ عليها، ولا نشك في أن لذلك أسبابا قوية جعلته يتبوأ تلك المكانة، وتتمثل هذه الأسباب في خصائصه الشعرية التي سنعرض بعضها"[2].

ثم يستعرض خصائص شعره كالآتي:

1-الكثرة والجودة.

2-الطبع.

3-شيوع شعره.

4-سرعة البديهة والارتجال.

[1] **ينظر: مصطفى الشعكة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1986، ص135.**

[2] **هاشم مناع، بشار بن برد حياته وشعره، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1994، ص95.**

5-الخيال الخصب الواسع.

6-التجديد لا التقليد.

7-كثرة الفنون الشعرية.

8-شيوع الحكمة في شعره.

9-الافتنان والابتكار.

10-كثرة الأساليب البلاغية[1].

وهذا العنصر الأخير يرجع إلى شيوع ظاهرة صنعة البديع التي كان بشار بن برد رائدها في بدايات العصر العباسي.

والخلاصة تكمن في أن بشار بن برد جدد على مستوى اللغة وعلى مستوى الآليات وعلى مستوى الأغراض وعلى مستوى البناء وعلى مستوى الإيقاع، بل وعلى مستوى الرؤية، وهي عناصر الشعرية التي منها يتألف القول الشعري.

[1] **ينظر: هاشم مناع، بشار بن برد حياته وشعره، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1994 ص95، 108.**

❖ **القرآن الكريم(رواية ورش):**

1-سورة الشعراء، الآية 221-227.

2-صحيح البخاري، طاهر عبد الرءوف.

❖ **قائمة المصادر والمراجع:**

1-إليا الحاوي،في النقد والأدب ،دار الكتاب اللبناني،بيروت،دط،دت.

2-أحمد وطماس،ديوان أبي سلمى، دار المعارف ،بيروت ،لبنان ،دط ،دت.

3-إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ط4،1983م.

4-جورجي زيدان ،تاريخ آداب اللغة العربية،المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت،لبنان.

5-حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ،دار الجيل، بيروت، دط، دت.

6-حنا الفاخوري ،فنون الأدب العربي ،الفن الغنائي،الفخر والحماسة ،دار المعارف، ط5.

7-سراج الدين مُحَمَّد،الزهد في الشعر العربي دط،دت.

8-شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي .

9-شوقي ضيف ،العصر، الإسلامي،دار المعارف،ط12.

10-عبد المنعم خفاجي ،الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ،دار الجيل ،بيروت ،دط دت.

11-عبد المنعم خفاجي ،الآداب العربية في العصر العباسي الأول ،دار الجيل ،بيروت ،-ط1،1413هـ1992م.

12-عبدالكريم الرحيوي،جماليات الأسلوب في الشعر الجاهلي،ط1435هـ-2014م.

13-غازي طليمات،الأدب الجاهلي قضاياه ،أغراضه ،أعلامه فنونه مكتبة الإيمان ،دمشق ،سوريا ط1،1413هـ-1992م.

14-ابن قتيبة،الشعر والشعراء، دار الحديث ،القاهرة ،1423،هـ،ج1.

15-ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب، دار الحديث القاهرة، ج9.

16-كريم مزرة ألأسدي ،بشار بن برد المجدد العباسي الأول ،الحوار المتمدن العدد407،2013م

17-مُحَمَّد هدارة،اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري ،دار المعارف ،دط،1982م

18-مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ،كتاب الشعر، دارا لكتاب اللبناني،بيروت.

19-هاشم مناع، بشار بن برد، حياته، شعره، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1994م.